الشفاعـــة

عنـــد الله

يوم القيامـــة

د / أحمد مصطفى على

الشفاعة عند الله يوم القيامة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل الله فلا هادى له .

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .[يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون][1] .

[يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً][2]

[يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما] [3] ، [4] .

ثم أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة[5] .

" وبعد "

من الثوابت العقدية القطعية التى أجمع عليها أهل السنة والجماعة ثبوت الشفاعة للنبى ــ ﷺ ــ والملائكة والصالحين من عباد الله تعالى كما نطق بذلك القرآن العظيم ، والسنة الصحيحة المتواترة .

---

[1] سورة آل عمران آية ١٠٢

[2] سورة النساء آية ١

[3] سورة الأحزاب آية ٧٠ ، ٧١ .

[4] هذه هى خطبة الحاجة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه أن يقولوها بين يدى كلامهم ، سواء كان خطبة نكاح أو جمعة ، أو غير ذلك وقد أخرجها ابن ماجه فى كتاب النكاح فى خطبة النكاح ج١ ص ٦٠٩ ، ٦١٠ . والدارمى فى كتاب النكاح باب خطبة النكاح ١٤٢/٢ ، والإمام أحمد فى المسند ٣٩٢/١ ، ٣٩٣ ، ٤٣٢ .

[5] جزء من حديث أخرجه مسلم فى كتاب الجمعة بشرح النووى ج١٥٣/٦ .

وبذلك انعقد إجماع أئمة الأئمة ولم يشذ عنهم إلا المبتدعة من الفرق المذهبية المارقة[١] ، ومن ثم كانت مما علم من الدين بالضرورة .

والشفاعة رحمة من الله تعالى وهى منة من الله وتكريم من الله عز وجل لمن يشفع فهى رحمة أراد بها سبحانه إظهار فضل وكرامة من هم أقرب إليه عز وجل .

وسوف نتحدث فى هذا البحث عن تعريف الشفاعة وأركانها وأقسامها ولمن تكون والشفاعة المثبتة والمنفية ، وأنواعها ، ومن أسعد الناس بها ، وما الحكمة منها ، وآراء المؤيدين والمعارضين للشفاعة ، والرد على منكرى الشفاعة ، إلى غير ذلك من موضوعات

تعريف الشفاعة فى اللغة :

الشفاعة لغة الدعاء ، وهى تتعلق بأمور الدنيا والآخرة وهى السؤال فى التجاوز عن الذنوب والجرائم والمشفع الذى يقبل الشفاعة ، والمشفع الذى تقبل شفاعته[٢] .

والشفع ما شفع غيره وجعله زوجاً وهو خلاف الوتر ، والجمع أشفاع وشفاع[٣] .

والشفاعة فى الأمر: هى أن تلتمس هذا الأمر ممن هو فى يده لا لنفسك بل لشخص ثالث .

فإن طلبته لنفس يسمى " شفعة " .

والشفاعة فى اللغة العربية مأخوذة من الشفع بمعنى الضم[٤] . والشفع ضد الوتر ، يقال كان وتراً فشفعه[٥] .

---

(١) ذكرهم ابن تيميه فى كتابه " قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة " منهم الخوارج والمعتزلة والزيدية وغيرهم . وسوف نذكر فيما بعد أراءهم بالتفصيل .

(٢) لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج ٤ ــ مادة شفع ص ٢٢٨٩ ط : دار المعارف .

(٣) المعجم الوسيط ــ مجمع اللغة العربية ــ ج ١ مادة شفع ص ٥٠٦ ط : مطابع الأوفست

(٤) القاموس المحيط ــ الفيروز أبادى ــ ج ٣ ص ٤٧ ط : الحلبى .

(٥) مختار الصحاح ــ أبو بكر الرازى ص ٣٤١ ط : دار القلم بيروت .

تعريف الشفاعة فى الاصطلاح :

هو أن يطلب إنسان من آخر التوسط له عند ذى ملك أو سلطان ليقضى له حاجته فى إعطائه ما هو فى حاجة إليه ، أو فى التجاوز عنه فى ذنب قارفه أو جريمة أرتكبها[١] .

فهو : مسألة الغير أن ينفع غيره أو يدفع عنه مضرة[٢] .

تعريف الشفاعة شرعاً :

أما معنى الشفاعة شرعاً وهى المقصود هنا فهو : توسط الرسل والأخيار عند الله تعالى للناس لمحو ذنب أو لرفع درجة ، أو لصرف هم نازل بهم[٣] .

هذا والشفاعة تنسب إلى الله تعالى كما فى قوله تعالى " قل لله الشفاعة جميعا "[٤] فيكون معناها العفو أو قبول الشفاعة لمن أقر بالوحدانية ، ولرسوله ـ ﷺ ـ بالنبوة والرسالة حتى ولو لم يعمل خيراً قط يدل عليه قوله تعالى " إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء "[٥] . وكما فى حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال " ثم أرجع إلى ربى فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً ، فيقال يا محمد أرفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطى ، وأشفع تشفع ، فأقول يا رب إئذن لى فيمن قال : لا إله إلا الله قال : ذلك ليس لك ، أو قال : ذلك ليس إليك ، ولكن وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله[٦] .

كما تنسب الشفاعة أيضاً إلى رسول الله ـ ﷺ ـ كما فى قوله ـ صلوات الله عليه ـ أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى ، نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الأرض مسجداً وطهورا ، وأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة ، وأعطيت الشفاعة "[٧] .

---

[١] عقيدة المؤمن ـ أبو بكر الجزائرى ـ ص ١٥٤ ط : المكتبة التوفيقية .

[٢] شرح الأصول الخمسة ـ القاضى عبد الجبار ص ٦٨٨ ط : مكتبة وهبة .

[٣] مذكرات فى التوحيد ـ الشيخ صالح شرف ص ١٤٢ ط : ٢ سنة ١٣٧٢ هـ .

[٤] الزمر آية ٤٤ .

[٥] سورة النساء آية ٦

[٦] أخرجه مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب الشفاعة ج ١ ص ٤٦٥ ط : الشعب .

[٧] صحيح البخارى بحاشية السندى ج ١ ص ٨٧ ، ٨٨ ط : المكتب الثقافى .

فالشفاعة فى هذا الحديث معناها طلب الخير أو المغفرة للمذنبين أو يكون معناها الدعاء إلى الله لتخفيف الكرب والشدة أو لتعجيل الحساب يوم الموقف العظيم ، لذا يقال له ــ ﷺ ــ صاحب الشفاعة العظمى ، وهذه أول شفاعة مقبولة ، وبها يفتح باب الشفاعة لغيره من الأنبياء والصالحين .

وأيضاً تنسب الشفاعة له ــ ﷺ ــ ولغيره من الأنبياء والصالحين كما فى قوله تعالى " يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا "[1] ، ويكون معناها طلب المغفرة للمذنبين أو لرفع درجات بعض المؤمنين .

أركان الشفاعة :

لابد فى الشفاعة من أركان أربعة بيانها كالتالى :

١ــ الشافع وهو الوسيط أو طالب الخير من الغير للغير ويسمى مشفعاً إن قبلت شفاعته ولذلك يقول الرسول ــ ﷺ ــ " أنا أول شافع وأول مشفع "[2] .

٢ــ المشفوع له : وهو صاحب الحاجة ، أو المشفوع له عند الله لرفع درجته أو لمحو ذنبه .

٣ــ المشفوع فيه : وهو الأمر الذى يطلب من أجله الشفاعة سواء أكان هذا الأمر جناية أو قضاء حاجة أو رفع درجة لصاحب هذا الأمر .

٤ــ المشفوع إليه : وهو الذى يتقدم إليه الشافع راجياً قبول شفاعته فيما تقدم به إليه[3] .

الأدلة على ثبوت الشفاعة من القرآن والسنة :

أما ثبوت الشفاعة فى السنة فقد سبق ذكر حديث " أعطيت خمساً " وحديث " أنا أول شافع وأول مشفع " وباقى الأحاديث سوف نذكرها تباعاً داخل الموضوعات .

أما فى القرآن العظيم فقد وردت آيات تنفى الشفاعة والشفيع ، ووردت آيات أخرى تثبت الشفاعة والشفيع .

---

[1] سورة طه آية رقم ١٠٩ .

[2] مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب الشفاعة ج ١ ص ٤٧٦ .

[3] الشفاعة ــ رسالة ماجستير د / يوسف عبد الغنى بكلية أصول الدين أسيوط وأنظر شرح الأصول الخمسة القاضى عبد الجبار ص ٦٨٨ ط : مكتبة وهبة .

فمن الآيات التى وردت فى نفى الشفاعة والشفيع :

١ــ قوله تعالى [واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون][١] .

٢ــ وقال تعالى [يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون][٢] .

٣ــ وقال تعالى [وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون][٣] .

٤ــ وقال تعالى " الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون][٤] .

٥ــ وقال تعالى حاكيا عن الكفار من أهل النار [فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة[٥] فنكون من المؤمنين][٦] .

٦ــ وقال تعالى [أم إتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون][٧] .

فى هذه الآيات نفى الشفاعة والشفيع .

ومن الآيات الواردة فى إثبات الشفاعة والشفيع :

١ــ قوله تعالى [من ذا الذى يشفع عنده إلا بأذنه][٨] .

---

[١] سورة البقرة آية ٤٨ .

[٢] سورة البقرة آية ٢٥٤ .

[٣] الأنعام آية ٥١ .

[٤] السجدة آية ٤ ..

[٥] كرة : أى رجعة إلى الدنيا

[٦] الشعراء آية ١٠٠ ــ ١٠٢ .

[٧] الزمر آية ٤٣ ــ ٤٤

[٨] سورة البقرة آية ٢٥٥ .

٢ــ وقوله تعالى [يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه][١] .

٣ــ وقال تعالى [وقالوا إتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن أرتضى وهم من خشيته مشفقون][٢] .

فالملائكة ليسوا أولاداً لله بل عباد مطيعون ولا يشفعون إلا لمن قبل الله شفاعتهم له .

٤ــ وقال تعالى [ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعاً صفصفاً[٣] لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً[٤] يومئذ يتبعون الداعى لا عوج[٥] له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا][٦] .

٥ــ وقال تعالى [وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى][٧] .

هذه هى الآيات التى أثبتت الشفاعة والشفيع ، ويتضح من خلال ما قدمنا أن الشفاعة تنقسم إلى قسمين ، شفاعة ثابتة ، وشفاعة منفية .

أما الشفاعة الثابتة فهى التى أثبتها القرآن العظيم وهى التى لها حقيقة ووجود ولها واقع وتوافرت لها شروطها فالشفاعة الثابتة لمن له ملك السموات والأرض ، وهو الله وحده ، فهو الذى يشفع بنفسه إلى نفسه ، ليرحم عبده ، فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه ، فصارت الشفاعة فى الحقيقة إنما هى له ، والذى يشفع عنده إنما يشفع بإذنه له وأمره ، بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه وهى إرادته من نفسه أن يرحم عبده . فالشفاعة لا تكون مقبولة إلا بعد إذنه ورضاه .

---

[١] سورة يونس آية ٣

[٢] سورة الأنبياء آية ٢٦ ــ ٢٨ .

[٣] صفصفاً أى مستوياً كالبساط الواحد .

[٤] المعنى لا ترى فيها منخفضاً ولا مرتفعاً .

[٥] لا عوج له أى لا يميلون عليه ، والآية تتحدث عن يوم القيامة .

[٦] سورة طه الآيات من ١٠٥ ــ ١٠٩ .

[٧] سورة النجم آية ٨٦ .

أما الشفاعة المنفية فهى التى لا حقيقة لها ولا وجود وهى التى أبطلها القرآن الكريم مثل شفاعة الإلهة وكل ما عبد من دون الله عز وجل . والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور .

فالشفاعة التى أبطلها المولى عز وجل هى شفاعة الشريك فإنه لا شريك له ، والشفاعة التى أثبتها هى شفاعة العبد المأمور ، الذى لا يشفع ولا يتقدم بين يدى مالكه حتى يأذن له . ويقول أشفع فى فلان . قال تعالى [ولا يشفعون إلا لمن إرتضى][1] وقال [يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً][2] .

فأخبر سبحانه أنه لا يحصل شفاعة تنفع إلا بعد رضاء قول المشفوع له ، وأذنه للشافع فيه ، فأما المشرك فإنه لا يرتضيه له ، ولا يرضى قوله ، فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه ، فإنه سبحانه علقها بأمرين : رضاه عن المشفوع له ، وإذنه للشافع ، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة[3] . المقبولة .

وسر ذلك : أن الأمر كله لله وحده ، فليس لأحد معه من الأمر شئ ، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده : هم الرسل والملائكة المقربون . وهم عبيد محض ، لا يسبقونه بالقول ، ولا يتقدمون بين يديه ، ولا يفعلون شيئاً إلا بعد إذنه لهم ، وأمرهم ، ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً . فهم مملكون مربوبون أفعالهم مقيدة بأمره وإذنه ، فإذا أشرك بهم المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ، ظناً منه أنه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله ، فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه وما يجب له ، ويمتنع عليه فإن هذا محال ممتنع ، شبيه قياس الرب تعالى على الملوك والكبراء ، حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم فى الحوائج .

وبهذا القياس الفاسد عبدت الأصنام ، واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولى .

---

[1] سورة الأنبياء آية ٢٨ .

[2] سورة طه آية ١٠٩ .

[3] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ــ ابن قيم الجوزيه ص ٢٢٠ ــ ٢٢١ .

فمتخذ الشفيع من دون الله مشرك ، لا تنفعه شفاعته ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب وحده إلهه ومعبوده ومحبوبه ومرجوه ، ومخوفه الذى يتقرب إليه وحده ، ويطلب رضاه ويتباعد من سخطه هو الذى يأذن سبحانه للشفيع أن يشفع فيه[١] .

وللشفاعة المنفية صوراً عدة منها :

١ــ شفاعة الآلهة التى عبدت من دون الله أو معه فهذه شفاعة لا وجود لها البتة ، وسواء كان المعبود المرجو الشفاعة ملكاً أونبياً أو صالحاً أو دون ذلك من الجن والشياطين ، أو الحيوانات والجمادات ، وذلك لقوله تعالى " أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعاً[٢] .

قال ابن كثير : يقول تعالى ذاماً المشركين فى إتخاذهم شفعاء من دون الله وهم الأصنام والأنداد التى اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان هداهم على ذلك وهى لا تمتلك شيئاً من الأمر بل وليس لها عقل تعقل به ولا سمع تسمع به ولا بصر تبصر به هى جمادات أسوأ حالاً من الحيوان بكثير، ثم قال : قل أى يا محمد لهؤلاء الزاعمين إن ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله تعالى أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن إرتضاه وأذن له فمرجعها كلها إليه وهو المتصرف فى جميع ذلك[٣] .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى [وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم]

حيث يقول المولى عز وجل [ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون][٤] .

قال القرطبى : أى جئتمونا واحداً واحدا ، كل واحد منكم منفرداً بلا أهل ولا مال ولا ولد ولا ناصر ممن كان يصاحبكم فى الغى ولم ينفعكم ما عبدتم من دون الله .. وكان

---

[١] المرجع السابق ٢٢٢

[٢] سورة الزمر آية ٤٣ ــ ٤٤

[٣] تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٧

[٤] سورة الأنعام آية ٩٤

المشركون يقولون : الأصنام شركاء الله وشفعاؤنا عنده " لقد تقطع بينكم " قرأ نافع والكسائى وحفص بالنصب على الظرف ، على معنى لقد تقطع وصلكم بينكم ، ودل على حذف الوصل قوله " وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم " فدل هذا على التقاطع والتهاجر بينهم وبين شركائهم ، إذ تبرءوا منهم ولم يكونوا معهم وتقاطعهم لهم هو تركهم وصلهم لهم " وضل عنكم " أى ذهب " ما كنتم تزعمون " أى تكذبون به فى الدنيا "[١] .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى [ويعبدون من دون الله مالاً يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون][٢] .

قال القرطبى " ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم " يريد الأصنام " ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله " وهذه غاية الجهالة منهم ، حيث ينتظرون الشفاعة فى المآل ممن لا يوجد منه نفع ولا ضر فى الحال . وقيل " شفعاؤنا " أن تشفع لنا عند الله فى اصطلاح معاشنا فى الدنيا .

قال " أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض " أى أتخبرون الله أن له شريكاً فى ملكه أو شفيعاً بغير إذنه ، والله لا يعلم لنفسه شريكاً فى السماوات ولا فى الأرض ، لأنه لا شريك له فلذلك لا يعلمه ، ثم نزه نفسه وقدسها عن الشرك فقال " سبحانه وتعالى عما يشركون " أى هو أعظم من أن يكون له شريك .

وقيل : المعنى أى يعبدون مالا يسمع ولا يبصر ولا يميز " ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله " فيكذبون وهل يتهيأ لكم أن تنبؤه بما لا يعلم . سبحانه وتعالى عما يشركون[٣] .

ومن ذلك أيضاً زعم اليهود والنصارى أن أباهم يشفع لهم قال تعالى [وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون][٤] هذا

---

[١] تفسير القرطبى ج ٣ ص ٢٤٧٨

[٢] سورة يونس آية ١٨ .

[٣] تفسير القرطبى ج ٤ ص ٣١٦١ .

[٤] سورة الأنعام آية ٥١ .

رد على اليهود والنصارى فى زعمهما أن أباهما يشفع لهم حيث قالوا " نحن أبناء الله وأحباؤه " والمشركون حيث جعلوا أصنامهم شفعاء لهم عند الله فأعلمهم الله أن الشفاعة لا تكون للكفار .

وقال تعالى [الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع][1] .

قال القرطبى : أى ما للكافرين من ولى يمنع من عذابهم ولا شفيع[2] .

وغير ذلك آيات كثيرة تنفى الشفاعة عن الكافرين . الذين أشركوا مع الله عز وجل غيره أو عبدوا الأصنام والأوثان من دونه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كثيراً .

٢ــ ومن الشفاعة المنفية أيضاً ، الشفاعة بدون إذن الله تعالى للشافع ، أو عدم رضاه عن المشفوع له[3] ، وذلك لقوله تعالى [من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه][4] وقوله تعالى " ولا يشفعون إلا لمن إرتضى وقوله تعالى [وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى][5] وقوله تعالى [يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً][6] .

تلك هى أمثلة الشفاعة المنفية يوم القيامة وهناك كثير من الآيات القرآنية الدالة على ذلك وهذه الآيات فى حقيقتها تثبت الشفاعة يوم القيامة ، ولكنها تجعلها مشروطة بإذن الله ــ عز وجل ــ ورضاه عن الشافع والمشفوع فيه . ونكتفى بهذر القدر من آيات القرآن الكريم فى إثبات الشفاعة ونفيها ولنذكر طرفاً من السنة النبوية فى الشفاعة المقبولة أو المثبتة .

---

[1] سورة السجدة آية ٤

[2] تفسير القرطبى ج ٣ ص ٢٤٢٧

[3] عقيدة المؤمن ــ أبو بكر الجزائرى ص ١٦ ط : المكتبة التوفيقية .

[4] سورة البقرة آية ٢٢٥ .

[5] سورة الأنبياء آية ٢٨ .

[6] سوزة طه آية ١٠٩

أما الشفاعة المثبتة أو المقبولة فهى قسمان :

الأول : شفاعات النبى صلى الله عليه وسلم :

الثانى : شفاعات غيره من الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء والصالحين من عباد الله عز وجل .

أما شفاعات النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فهى ستة أنواع :

الشفاعة الأولى : الشفاعة العامة أو الشفاعة العظمى ، وهى لجميع الخلائق وذلك أن الناس إذا ضاق بهم الموقف وطال المقام واشتد القلق وألجمهم العرق التمسوا الشفاعة .

فالشفاعة العامة أو العظمى تكون يوم الهول الأكبر فى فصل القضاء قبل الحساب للخلق جميعاً مسلمهم وكافرهم ، من طول الموقف وأهواله ، ولعل هذه الشفاعة هى المقام المحمود الذى وعد الله به نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى قوله تعالى [ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا][1] .

وهذه الشفاعة ورد بيانها فى السنة الصحيحة ، وذلك حين يشتد الهول ويتمنى الناس الانصراف من هذا الموقف ولو إلى النار ، فيلهمون أن الرسل هم الشفعاء فيتجهون إليهم يسألونهم الشفاعة ، والكل يعتذر عنها حتى يصلوا إلى سيدهم وأشرفهم وأعظمهم وخاتمهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيشفع لهم فى فصل القضاء وحينئذ يفتح باب الشفاعة .

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه قال : " أتى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوماً بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة[2] فقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون بم ذاك : يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ

---

[1] سورة الإسراء آية ٦٩

[2] نهس بالسين المهملة وروى بالمعجمة ، قال النووى وكلاهما صحيح المعنى : أخذ بأطراف أسنانه . وعن الهروى : النهس بالمهملة بأطراف الأسنان وبالمعجمة الأضراس . انظر شرح النووى على مسلم ٦٦/٣ باختصار .

الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ومالا يحتملون .؟ فيقول الناس لبعض ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟

فيقول بعض الناس لبعض : أئتوا آدم : فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك أشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا .

فيقول آدم : إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنه نهانى عن الشجرة فعصيته[١] نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا .

فيقول لهم : إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنه كانت لى دعوة دعوت بها على قومى[٢] نفسى نفسى اذهبوا إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم .

فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم إبراهيم : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وذكر كذباته[٣] نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى .

فيأتون موسى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيقولون : يا موسى : أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربكك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى " وعصى آدم ربه فغوى " [طه ١٢] وهذه المخالفة وقعت منه سهواً قبل النبوة يدل على ذلك قوله تعالى " فنسى ولم نجد له عزما " [طه ١١٥] فالعصيان هنا صورى ، لأن العصيان ملابسة الكبيرة قصداً . والقصد هنا منفى لقوله تعالى " فنسى " .

(٢) إشارة إلى أنه كانت له دعوة مستجابة استوفاها فى الدنيا وهى دعوته على قومه فقال " رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا " [نوح ٢٦] .

(٣) إشارة إلى قوله فى الكواكب " هذا ربى " سورة الأنعام [٧٦ ــ ٧٧] وقوله لألهتهم " بل فعله كبيرهم هذا " [الأنبياء آية ٦٣] وقوله " إنى سقيم " [الصافات آية ٨٩] .

فيقول لهم موسى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنى قتلت نفساً[١] لم أؤمر بقتلها نفسى .. نفسى اذهبوا إلى عيسى ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

فيأتون عيسى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس فى المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح الله فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟

فيقول لهم عيسى ــ صلى الله عليه وسلم ــ إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيأتونى فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟

فأنطلق فأتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى ثم يفتح الله على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلى ، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول يارب أمتى فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعيين من مصاريع الجنة لكما بين ملكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى[٢] .

وإن الذين يسألون الأنبياء الشفاعة هم العلماء العاملون والشهداء والصالحون وقال الإمام النووى " والحكمة فى أن الله ألهمهم سؤال الأنبياء أولاً ولم يلهموا سؤال نبينا

---

[١] إشارة إلى قوله تعالى " ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه " [القصص ١٥] وهذا قتل خطأ غير متعمد ، والوكز هو الضرب بقبضة اليد .

[٢] صحيح مسلم ــ كتاب الإيمان ــ وبوب عليه النووى إثبات الشفاعة واخراج الموحدين من النار ٣/٦٥ ــ ٦٩ بشرح النووى ورواه البخارى فى كتاب التفسير ، تفسير سورة البقرة ، وسورة بنى إسرائيل بألفاظ متقاربة .

محمد ـ ﷺ ـ فإنهم لو سألوه ابتداء لكان يحتمل أن غيره يقدر على هذا ويحصله وأما إذا سألوا غيره من رسل الله تعالى وأصفيائه فامتنعوا ثم سألوه فأجاب وحصل غرضهم فهو النهاية فى ارتفاع المنزلة وكمال القرب وعظيم الإدلال والأنس وفيه تفضيله على جميع المخلوقين من الرسل والآدميين والملائكة ، فإن هذا الأمر العظيم وهو الشفاعة العظمى لا يقدر على الإقدام عليه غيره ـ ﷺ ـ وعليهم أجمعين[1]

قال القرطبى فى " التذكرة " هذه الشفاعة العامة التى خص بها نبينا محمد ـ ﷺ ـ من بين سائر الأنبياء بقوله عليه الصلاة والسلام " لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى "[2] .

وهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنما هى ليعجل حسابهم ويراحو من هول الموقف وهى الخاصة به ـ ﷺ ـ .

وقوله " أقول يا رب أمتى أمتى " اهتمام بأمر أمته وإظهار محبته فيهم وشفقته عليهم وقوله " فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه " يدل على أنه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف ، فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته فقد شرع فى حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم ، وكلن طلبه هذه الشفاعة من الناس بإلهام من الله تعالى لهم حتى يظهر فى ذلك اليوم مقام نبيه ـ ﷺ ـ الذى وعده ، ولذلك قال كل نبى : لست لها لست لها حتى انتهى الأمر محمدﷺ ـ فقال أنا لها "[3]

وذكر [أبو حامد] أن من بين إتيانهم من آدم إلى نوح ألف عام ، وكذا بين كل نبى إلى محمد ـ ﷺ ـ وأن الناس فى الموقف علىَ طبقات مختلفة وأنواع متباينة بحسب جرائمهم ، كمانع الزكاة والغال والغادر ، وآخرون قد عظمت فروجهم ، وهى تسيل صديداً يتأذى بنتنها جيرانهم ، وآخرون قد خرجت ألسنتهم على صدورهم أقبع ما يكون . وهؤلاء

---

[1] صحيح مسلم بشرح النووى مجلد ص ٤٦١ ط : الشعب بتصرف .

[2] صحيح البخارى بشرح النووى ج ٩ /١٧ ط : بيروت . وصحيح مسلم ج١/١٣١ بيروت ورواه أحمدج ٢ /٢٧٥ ، ورواه ابن ماجه ٤٣٠٧ .

[3] التذكرة ـ القرطبى ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ ـ ط : المكتبة التوفيقية .

المذكورون هم الزناة اللوطية والكاذبون ، وآخرون قد عظمت بطونهم كالجبال الرواسى وهم آكلوا الربا وكل ذى ذنب قد بدا سوء ذنبه . وقال إن الرسل والأنبياء يوم القيامة على المنابر ومنبر كل رسول على قدره ، والعلماء والعاملون على كراسى من نور والشهداء والصالحون كقراء القرآن والمؤذنون على كثبان من مسك ، وهذه الطائفة العاملة أصحاب الكراسى هم الذين يطلبون الشفاعة من آدم ونوح حتى ينتهوا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ[1]

الشفاعة العظمى هى المقام المحمود :

عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ آدم ومن سواه إلا تحت لوائى ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر قال : فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون : أنت أبونا فاشفع لنا إلى ربك فيقول : أنا أذنبت ذنباً فأهبطت به إلى الأرض ائتوا نوحاً فيقول إنى دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ولكن اذهبوا إلى إبراهيم ، فيأتون إبراهيم فيقول : إنى كذبت ثلاث كذبات ، ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى . فيأتون موسى فيقول : إنى قتلت نفساً ولكن ائتوا عيسى فيقول : إنى عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمداً ـ ﷺ ـ فيأتون فأنطلق معهم "

قال ابن جدعان : قال أنس : فكأنى انظر إلى رسول الله ـ ﷺ ـ قال " فأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال لى : ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذى قال الله فيه " عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً "[2] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما : إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع حتى تنتهى الشفاعة إلى النبى ـ ﷺ ـ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود[3] .

---

[1] كشف علوم الآخرة ـ أبو حامد الغزالى ـ نقلاً من كتاب الشفاعة لمن تكون . عكاشة عبد المنان الطيبى ص٤١ ط : دار الاعتصام .

[2] أخرجه الترمذى حديث رقم ٣١٤٨ ـ و ـ ٣٦١٥ وأخرجه أحمد فى مسنده ج ٢٨١/١ و ٢/٣ والقرطبى فى التذكرة ص ٢٨٢ وقال سفيان : ليس عن أنس إلا هذه الكلمة " فأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها " قال الترمذى حديث حسن .

[3] صحيح البخارى بحاشية السندى كتاب التفسير ـ تفسير سورة الإسراء آية " وعسى ربك مقاماً محموداً " ص ١٥١ مجلد ٣ .

وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ فى قوله " عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً " سئل عنها فقال " هى الشفاعة "[١]

وقال ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ المقام المحمود هو مقام الشفاعة . وقاله بهذا أيضاً مجاهد ، والحسن البصرى وقتادة[٢] .

وكذلك قال حذيفه بن اليمان ــ رضى الله عنه ــ بذلك حيث قال " يجمع الله الناس فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر حفاة عراه كما خلقوا ، قياماً لا تكلم نفساً إلا بإذنه ، فأول مدعو محمد ــ ﷺ ــ فيقول " لبيك وسعديك والخير فى يديك ، والشر ليس إليك والمهدى من هديت ، وعبدك بين يديك ، وبك وإليك ولا ملجأ منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت " قال فهذا هو المقام المحمود الذى ذكره الله عز وجل فى قوله تعالى " عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمود "[٣] .

وقال " الواحدى " فى تفسير المقام المحمود : أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة كما قال ــ ﷺ ــ وهو المقام الذى أشفع فيه لأمتى .

وقال الإمام ابن الخطيب : اللفظ مشعر بذلك لأن الإنسان إنما يصير محموداً إذا حمده حامد ، والحمد إنما يكون على الإنعام ، فهذا المقام المحمود يجب أن يكون مقاماً أنعم فيه رسول الله ﷺ على قوم فحمدوه على ذلك الإنعام وذلك الإنعام لا يجوز أن يكون هو تبليغ الدين وتعليمهم الشرع لأن ذلك كان حاصلاً فى المحال وقوله " عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً " يدل على أنه حصل للنبىﷺ فى ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل[٤] .

---

[١] رواه الترمذى فى تفسير القرآن حديث رقم ٣١٣٧ وقال حديث حسن .

[٢] تفسير ابن كثير ج٣ ص ٥٥ ط . دار البيان العربى .

[٣] رواه الطبرانى ، وقال ابن منده : حديث مجمع على صحة إسناده ، ورواه النسائى بإسناد صحيح ، وصححه الحاكم . أنظر المواهب الدينية للقسطلانى ٤٣٣/٣ والأنوار المحمدية للنبهانى ٦٢٠ والبدو السافرة ١٢٤ ومجمع الزوائد ٣٧٧/١٠ .

[٤] لا بل الشفاعة ثابتة " هدية مجلة الأزهر ربيع الأول ٤٢٠هـ ، مقال الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار ص٧٤ ، ٧٥.

وقال القرطبى اختلف الناس فى المقام المحمود على خمسة أقوال :

الأول : أنه الشفاعة للناس يوم القيامة ، قاله حذيفة بن اليمان وابن عمر رضى الله عنهم.

الثانى : إنه إعطاؤه عليه السلام لواء الحمد يوم القيامة .

قال القرطبى : وهذا القول لا تنافى بينه وبين الأول فإنه يكون بيده لواء الحمد ويشفع .

وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد بيدى فأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر "[1] .

الثالث : ما حكاه الطبرى عن فرقة منها مجاهد أنها قالت : المقام المحمود هو أن يجلس الله محمداً ﷺ على كرسيه[2] .

وروت فى ذلك حديثاً[3].

الرابع : إخراج النبىﷺ طائفة من النار ، روى مسلم عن يزيد الفقير قال : كنت قد شغفنى رأى من رأى الخوارج ، فخرجنا فى عصابة ذوى عدد نريد الحج ثم نخرج على الناس فمررنا على المدينة ، فإذا جابر بن عبد الله يحدث الناس أو القوم إلى سارية عن رسول الله ﷺ قال : وإذا هو قد ذكر الجهنميين قال : فقلت له يا صاحب رسول الله : ما هذا الذى

---

[1] رواه الترمذى فى المناقب حديث ٣٦١٠ وهو حسن .

[2] رأى مجاهد هذا وفرقته هو تابع لآراء المشبهة والمجسمة ومنهم فرقة البيانية وفرقة المغيرية ، والمنصورية ، والهشامية والحشوية والجوارببة واليونسية والكرامية والمقاتلية وكلهم جميعاً يقولوم بالتشبيه والتجسيم ويزعمون أن الله عز وجل جسماً كالأجسام انظر فى ذلك على سبيل المثال " اعتقادات فرق المسلمين والمشركين . الرازى ، والفرق بين الفرق البغدادى ــ والفصل ابن حزم ــ والملل والنحل الشهرستانى ــ ومقالات الإسلاميين الأشعرى ــ والتبصير فى الدين الاسفرايني ــ والمواقيف الإيجى ، وغير ذلك كثيراً.

[3] قال الذهبى فى كتابه" العلو للعلى الغفار" ص٢١٤ فأما قضية قعود نبينا على العرش فلم يثبت فى ذلك نص بل فى الباب حديث واه . ولكن ثبت فى" الصحاح" أن المقام المحمود هو الشفاعة العامة الخاصة بنبينا ﷺ .

تحدثون والله تعالى يقول " ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته "[١] . " وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها "[٢] .

فما هذا الذى تقولون ؟ فقال : أتقرأ القرآن ؟ فقلت نعم . فقال هل سمعت بمقام محمدﷺ ، يعنى الذى يبعثه الله عز وجل فيه ؟ قلت نعم قال : فإنه مقام محمدﷺ الذى يخرج الله به من يخرج[٣] .

الخامس : ما روى أن مقامه المحمود شفاعته رابع أربعة .

فقد ذكر ابن السماك أبو عمر عثمان بن أحمد قال : حدثنا يحيى بن جعفر بن الزبرقان قال : أخبرنا على بن عاصم قال : حدثنا خالد الحذاء ، عن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبى الزعراء قال : قال عبد الله بن مسعود " يشفع نبيكم رابع أربعة : جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الشهداء وقيل الشهداء والصديقون . ويبقى قوم فى جهنم فيقال لهم " وما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين " إلى قوله تعالى " فما تنفعهم شفاعة الشافعين "[٤] قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فهؤلاء الذين يبقون فى جهنم[٥] .

هذا هو مذهب سلف الأمة الإسلامية من الصحابة ــ رضوان الله عليهم أجمعين ــ ومن التابعين ومن علماء الإسلام فى المقام المحمود ، فمنهم من قال بأنه الشفاعة العظمى يوم القيامة كما جاء فى حديث أبى سعيد الخدرى وحديث ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ وقال به أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال " الشفاعة العظمى وهى المقام المحمود الذى يغبطه فيه النبيون "[٦] وقال بهذا الرأى أيضاً جمهور العلماء .

---

[١] سورة آل عمران آية ١٩٢ .

[٢] سورة السجدة آية ٢٠ .

[٣] صحيح مسلم فى الإيمان حديث ٣٢٠/١٦١ .

[٤] سورة المدثر الآيات ٤٢-٤٨ .

[٥] رواه الترمذى فى صفة القيامة حديث رقم [٢٤٣٨] ورواه ابن ماجه فى الزهد حديث رقم [٤٣٦١]

[٦] شرح العقيدة الواسطية ــ ابن تيميه ــ ص ١٤٧ ط : مكتبة التراث الإسلامى .

ومنهم من قال بأن المقام المحمود هو الشفاعة جميعاً ، كما جاء فى حديث أبو هريرة وابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ وقال به أيضاً المفسرون حيزث ذكروا فى تفسير المقام المحمود أنه الشفاعة[١] وقيل أن الشفاعة العظمى هى أول المقام المحمود وآخره استقرار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار[٢] .

ويتضح من خلال ما قدمنا أن المقام المحمود محصور بين شفاعتين إما أنه خلص بالشفاعة العظمى أو أنه يشمل الشفاعة العظمى وغيرها من شفاعات النبى ــ ﷺ ــ ولا مانع أن يكون المقام المحمود خاصاً بالشفاعة العظمى وحدها أو أنه شاملاً لها ولغيرها ، وسواء هذا أو ذاك فالشفاعة العظمى مندرجة تحت مسمى المقام المحمود .

ولكنه ــ وللأسف الشديد ــ فقد خرج علينا فى الآونة الأخيرة بعض الكتاب[٣] يدعى أن المراد بالمقام المحمود ليش هو الشفاعة العظمى أو الشفاعة عامة بل كما يقول المراد بالمقام المحمود " هو مقام البشارة العظمى والله أعلم وليس مقام الشفاعة العظمى كما يذكر المفسرون "[٤]. ولكن هذا القول مردود على صاحبه غير مقبول لأنه مخالف لأحاديث رسول الله ــ ﷺ ــ السابق ذكرها ومخالف لأقوال الصحابة والتابعين ومخالف لإجماع علماء الإسلام وبالجملة فهو مخالف لمذهب السلف والخلف ، وقد سبق ذكر جميع تلك الآراء مفصلة . ولا أريد تكرارها .

---

[١] كتاب أصول الدين ــ البغدادى ص ٢٤٤ ط : دار الكتب العلمية بيروت .

[٢] المختار من شرح البيجورى على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٢٣٦

[٣] الدكتور مصطفى محمود " صحفى وطبيب أمراض صدرية " .

[٤] كتاب الشفاعة مصطفى محمود . مطابع أخبار اليوم ١٩٩٩ م وقد نشر هذا الكتاب من قبل فى مقالات فى صحيفة الأهرام بتاريخ ١٩٩٩/٤/٣ وتاريخ ١٩٩٩/٤/١٧ وتاريخ ١٩٩٩/٥/١ م . وقد استقبل الأزهر خاصة والمسلمون عامة ذلك المقالات التى تنكر الشفاعة بثورة عارمة ورد على ذلك علماء الإسلام ودفعوا الأوهام والأخطاء التى نشرت بين الناس . وصدر أكثر من ١٢ كتاباً كلها ترد على مصطفى محمود وتبين الصواب من الخطأ فيما نشر بين الناس .

الشفاعة الثانية :

شفاعة الرسول ـ ﷺ ـ فى إدخال فريق من أمته الجنة بغير حساب . يدل على ذلك قول الله ـ عز وجل ـ لرسوله ـ ﷺ ـ فى حديث الشفاعة السابق " يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة " .

ويدل عليه أيضاً ما روى عن أبى إمامة رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال " وعدنى ربى عز وجل أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربى "[١] .

وأخرج مسلم عن عمران بن حصين أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال " يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب " قالوا من هم يا رسول الله ؟ قال " هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون "[٢] وهذه الشفاعة لا تنكرها المعتزلة كما لا تنكر شفاعة الحشر الأول[٣] .

الشفاعة الثالثة :

الشفاعة فى زيادة الدرجات لأهل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم وترفيعها .

عن معاذ بن جبل وأبى هريرة وعبادة بن الصامت وأبى عبيدة بن الجراح عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة ، فإذا سألتم الله فسألوه الفردوس[٤] .

---

(١) أخرجه الترمذى حديث رقم [٢٤٣٧] وابن ماجه حديث رقم [٤٢٦٨] وأحمد فى مسنده ج ١٦/٤ ، ٢٦٨/٥ .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ٣٧١ ، ٣٧٢ وأخرجه أحمد ٣٢١/١ ، ٣٥١/٢ ، ٤٠٠ ، ٤٥٦ و ٤٣٦/٤ ، وأخرجه البخارى ١٢٤/٨ .

(٣) التذكرة القرطبى ص ٢٨٦ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ج ٢ /٢٩٢ ، ٣١٦/٥ ، ٣٢١ .

وعن أبى موسى قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : " جنتان من فضة آنيتها وما فيها وجنتان من ذهب آنيتها وما فيها ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن[١] .

وهذه الشفاعة ليست خاصة بالنبى إجماعاً ، فهى كما تكون لسيدنا محمد ــ ﷺ ــ تكون لغيره من الملائكة والنبيين .

الشفاعة الرابعة :

الشفاعة فى مرتكب الكبيرة المستحق دخول النار قبل أن يدخلها ، فهم قوم من أمة محمد ــ ﷺ ــ استوجبوا النار بذنوبهم فيغفر الله لهم ويدخلهم الجنة استجابة لشفاعة نبينا محمد ــ ﷺ ــ ومن شاء أن يشفع من الملائكة والنبيين والشهداء . وهذه الشفاعة أنكرتها المبتدعة الخوارج والمعتزلة ، فمنعتها على أصولهم الفاسدة وهى الاستحقاق العقلى المبنى على التحسين والتقبيح[٢] .

ويدل على هذه الشفاعة ما جاء فى السنة النبوية : فقد روى عن أبى بردة عن أبى موسى قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ " إذا كان يوم القيامة رفع الله لكل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول : هذا فكاكك من النار[٣] .

وفى رواية أخرى " لا يموت رجل مسلم إلا أدخلا الله مكانه من النار يهودياً أو نصرانياً " قال فاستحلفه عمر بن العزيز بالله الذى لا إله إلا هو ثلاث مرات . أن أباه حدثه عن رسول الله : قال فحلف له[٤] .

قال القرطبى[٥] : قال علماؤنا : هذه الأحاديث ظاهرها الإطلاق والعموم وليست كذلك ، وإنما هى فى أناس مذنبين تفضلا لله تعالى عليهم برحمته ومغفرته ، فأعطى كل

---

(١) أخرجه البخارى ١٨١/٦ ، ١٨٢ ، ١٦٢/٩ ، وأخرجه مسلم (الإيمان) ٢٩٦ وأخرجه ابن ماجه[١٨٦]

(٢) التذكرة ــ القرطبى ص ٢٨٦ .

(٣) أخرجه مسلم (التوبة) ٤٩ .

(٤) أخرجه مسلم " التوبه " رقم ٥٠ .

(٥) التذكرة ص ٤٩٥ / ٤٩٦ .

إنسان منهم فكاكاً من النار من الكفار ، واستدلوا بحديث ابى بردة عن أبيه عن النبى ــ ﷺ قال " يجئ يوم القيامة أناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى "[١] .

وروى ابن ماجه عن عوف ابن مالك الأشجعى قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ " أتدرون ما خيرنى ربى الليلة ؟ " قلنا الله ورسوله أعلم ، قال " أنه خيرنى بين أن أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة " قلنا : يا رسول الله أدعو الله أن يجعلنا من أهلها قال : " هى لكل مسلم "[٢] .

الشفاعة الخامسة :

الشفاعة فى إخراج قوم من المسلمين دخلوا النار وإدخالهم الجنة بشفاعة نبينا محمد ــ ﷺ ــ وغيرهم من الأنبياء والملائكة والشهداء يدل على ذلك حديث ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ عن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : " يدخل من أهل هذه القبلة النار مالا يحصى عددهم إلا الله تعالى بما عصوا الله واجترأو على معصيته وخالفوا طاعته فيؤذن لى بالشفاعة فأثنى على الله تعالى ساجداً كما أثنى عليه قائماً ، فيقال : أرفع رأسك ، سل تعطه واشفع تشفع[٣] .

الشفاعة السادسة :

الشفاعة فى تخفيف العذاب عمن يستحقوا كشفاعته ــ ﷺ ــ لعمه أبى طالب . ويدل على ذلك ما رواه مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ــ ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال " لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح[٤] من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه[٥] .

---

[١] أخرجه مسلم " التوبة " رقم ٥١ وكنز العمال ٢٠٣٤١

[٢] أخرجه ابن ماجه ٤٣١٧ والطبرانى ٦٩/١٨ وأخرجه بلفظ " هى للمسلمين عامة " الطبرانى ١٩٧/١١

[٣] أخرجه الطبرانى فى الأوسط ٤٠/١ .

[٤] الضحضاح فى الأصل ما رق من الماء على وجه الأرض مما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار انظر النهاية ٥٧/٣ ، وشرح النووى ٨٤/٣ .

[٥] أخرجه البخار واللفظ له فى كتاب مناقب الأنصار باب قصة أبى طالب ١٩٣/٧ بشرح فتح البارى ، وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب شفاعة النبى ــ ﷺ ــ لأبى كطالب والتخفيف عنه بسببه ٨٤/٣ ، ٨٥ بشرح النووى .

وفى رواية عن العباس بن عبد المطلب أنه قال : يا رسول الله هل نفعت أبا طالب فى شئ فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال نعم هو فى ضحضاح من نار ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار "[١] .

القسم الثانى من الشفاعة المثبتة :

وهى شفاعة الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء .

وشفاعة الملائكة ثابتة بنص القرآن الكريم قال تعالى [وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى][٢] وقوله سبحانه [ولا يشفعون إلا لمن ارتضى][٣] وأما الأنبياء والعلماء والشهداء فشفاعتهم ثابتة بعموم القرآن يقول سبحانه وتعالى [من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه][٤] وقوله [فما تنفعهم شفاعة الشافعين][٥] .

وفى الحديث عن أبى مسعود عن رسول الله ــ ﷺ ــ قال " ليدخلن الجنة قوم من المسلمين قد عذبوا فى النار برحمة الله وشفاعة الشافعين "[٦]

وعن عثمان بن عفان عن رسول الله ــ ﷺ ــ قال " يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء "[٧] .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ " أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم

---

[١] رواه البخارى [٣٨٨٣ ، ٢٠٨] ورواه مسلم [٢٠٩] ورواه أحمد فى مسنده ١/٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠

[٢] سورة النجم آية ٢٦

[٣] سورة الأنبياء آية ٢٨

[٤] سورة البقرة آية ٢٥٥

[٥] سورة المدثر آية ٤٨

[٦] أخرجه الطبرانى ١٠/٢٦٥ .

[٧] أخرجه ابن ماجه فى كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة ٢/١٤٤٢ .

فأماتهم الله إماتة حتى إذا كانوا فحماً أذن لهم فى الشفاعة فيجئ بهم ضبائر[١] ضبائر فبثوا[٢] على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة[٣] تكون فى حميل السيل[٤] " قال رجلاً من القوم كأن رسول الله ـ ﷺ ـ قد كان يرعى الغنم بالبادية[٥] .

وروى الترمذى عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ " إن من أمتى من يشفع فى الواحد والاثنين والقبيلة والفئام وشفاعتى لأهل الكبائر من أمتى[٦] .

وروى مسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ " إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الجنة صفوفاً وأهل النار صفوفاً فينظر الرجل من صفوف أهل النار إلى الرجل من صفوف أهل الجنة فيقول : يا فلان تذكر يوم اصطنعت معروفاً إليك فيقول : اللهم إن هذا اصطنع إلى فى الدنيا معروفاً ، قال فيقال له : خذ بيده وأدخله الجنة برحمة الله عز وجل ، قال أنس ـ رضى الله عنه ـ أشهد أنى سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقوله "[٧] .

وروى ابن ماجه فى سننه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ يصف الناس يوم القيامة صفوفاً ـ وقال ابن نمير : أهل الجنة فيمر الرجل من أهل النار على الرجل من أهل الجنة فيقول : يا فلان : أما تذكر يوم استسقيتنى فسقيتك شربة ؟ قال فيشفع له ، ويمر الرجل على الرجل فيقول : أما تذكر يوم ناولتك طهوراً فيشفع له ـ قال ابن نمير ـ ويقول : يا فلان أما تذكر يوم بعثتنى لحاجة كذا وكذا فذهبت لك فيشفع له[٨] .

---

[١] ضبائر معناه جماعات جماعات والواحدة ضبارة بكشر الضاد وهى الجماعة من الناس .

[٢] فبثوا أى فرقوا .

[٣] الحبة بكسر الحاء بذر البقول .

[٤] حميل السيل : ما احتمله من غثاء الطين .

[٥] أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان ٣٠٦ ، وابن ماجه ٣٤٠٩ وأحمد ٣/٥ ، ١١

[٦] رواه الترمذى كتاب صفة القيامة ج ٤ ص ٦٢٥ ط : مصطفى الحلبى .

[٧] مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب إخراج عصاة المسلمين من النار ج ٣ ص ٣٢ ط : المطبعة المصرية .

[٨] اخرجه ابن ماجه [٣٦٨٥] وكنز العمال [٣٩٠٥٠] .

وقال أبو عبد الله محمد بن ميسرة : رأيت فى الكتاب الذى يقال أنه الزبور " إنى أدعو عبادى الزاهدين يوم القيامة فأقول لهم : عبادى إنى لم أزر عنكم الدنيا لهوانكم على ، ولكن أردت أن تستوفوا نصيبكم موفوراً اليوم فتخللوا الصفوف فمن أحببتموه فى الدنيا أو قضى لكم حاجة أو رد عنكم غيبة أو أطعمكم لقمة ابتغاء وجهى وطلب مرضاتى فخذوا بيده وأدخلوه الجنة[١] .

وقال ــ ﷺ ــ " يخرج قوم من النار بعدما مسهم منها سفح فيدخلون الجنة فيسمهيم أهل الجنة الجهنميون[٢] .

ومن الشفاعة المثبتة ما روى عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ " يدخل بشفاعة رجل من أمتى الجنة مثل أحد الحيين : ربيعة ومضر " قال أى ابن إمامه قيل يا رسول الله وما ربيعة من مضر :؟ قال " إنما أقول ما أقول " قال ابن أبى إمامه وكان المشيخية يرون أن ذلك الرجل هو عثمان بن عفان رضى الله عنه[٣] .

وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال " إن من أمتى من يشفع للفئام ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة[٤] .

ومن الشفاعة المثبتة شفاعة الشهداء فقد روى أبو داود عن أبى الدرداء أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال فى حق الشهيد " يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته[٥] .

ومن الشفاعة المثبتة شفاعة القرآن فقد روى مسلم من حديث أبى إمامه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ــ ﷺ ــ يقول " إقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه[٦].

---

[١] كتاب الشفاعة لمن تكون ــ عكاشة عبد المنان الطيبى ص ٧٠ ط : دار الاعتصام .

[٢] صحيح البخارى فى الرقاق [٦٥٥٩]

[٣] صحيح البيهقى فى دلائل النبوة ٣٧٨/٦ ورواه أحمد

[٤] رواه الترمذى فى صفة القيامة ٢٤٤٠ .

[٥] سنن أبى داود كتاب الجهاد فى الشهيد ج٣ ص ١٥

[٦] مسلم بشرح النووى كتاب صلاة المسافرين وقصرها ج ٢ ص ٤٥٧ ط : الشعب

وأيضاً الصيام يأتى شفيعاً لأهله يوم القيامة فقد روى عن عبد الله بن عمر بن العاص عن النبى ـ ﷺ ـ قال " إن الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان "[١] .

ومن أعظم الشفاعات وأكبرها وأكثرها شفاعة أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين ورب العالمين ، فقد روى أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال " حتى إذا خلص المؤمنون من النار فو الذى نفسى بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله فى استقصاء الحق[٢] من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثال دينار من خير[٣] فأخرجوه ، فيخرجونَ خلقاً كثيراً . ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحد ممن أمرتنا ، ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحد ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا " .

وكان أبو سعيد يقول إن لم تصدقونى بهذا الحديث فأقرءوا إن شئتم " إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما "[٤] " فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار[٥] فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط حمماً[٦] فيلقهم فى نهر فى

---

[١] أخرجه ابن المبارك فى زوائد الزهد [٣٨٥] وصححه الحاكم ٥٥٤/١ وصححه الذهبى

[٢] استقصاء الحق أى تحصيله من خصمه المتعدى عليه .

[٣] الخير هنا هو مثل العمل الصالح ، والذكر الخفى ، والشفقة على المسكين ، أو الخوف من الله تعالى وغير ذلك

[٤] سورة النساء آية ٤٠

[٥] يقبض قبضة من النار معناه يجمع جماعة .

[٦] حمماً : الحمم هو الفحم .

أشواه الجنة يقال له نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر ، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض ؟ فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال " فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة . هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول : أدخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون : ربنا أعطيتنا مالم تعط أحداً من العالمين فيقول : لكم عندى أفضل من هذا فيقولون : يا ربنا : أى شئ أفضل من هذا ؟ فيقول : رضاى فلا أسخط عليكم بعده أبدا "[١] .

وأختم حديث الشفاعة المثبتة بحديث رسول الله ــ ﷺ ــ الذى رواه عنه أبى هريرة رضى الله عنه والذى يقول فيه صلوات الله عليه " إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحوش على ولدها ، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة ، يرحم بها عباده يوم القيامة[٢] .

أسعد الناس بشفاعة النبى ــ ﷺ ــ :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال " لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من نفسه[٣] .

والإخلاص له معنيان : معنى أعم ومعنى أخص :

أما على المعنى الأعم :" فالمراد الذين طابقت قلوبهم ألسنتهم فهم عندما قالوا [لا إله إلا الله عقلوا معناها ، ومضمونها ، ووصل ذلك إلى القلب فامتلأ تصديقاً ويقيناً فآمنت ألسنتهم وآمنت قلوبهم فهؤلاء بلا شك حظهم من الشفاعة أوفر ونصيبهم منها أكبر .

---

[١] أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان حديث رقم ١٨٣/٣٠٢ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ط : دار إحياء الكتب العربية . وهو شطر من حديث .

[٢] صحيح مسلم باب التوبة حديث رقم ١٩/٢٧٥٢

[٣] صحيح البخارى فى العلم ٦٩ وأخرجه فى الأدب المفرد ٣٤٠ ..

وأما إن اعتبرنا لإخلاص بمعناه الأخص : وهو الذى يشرق نوره على الجوارح كلها ويكون صلاح القلب فيه صلاحاً للجسد كله فيراقب الله بقلبه وفكره وهذه المراقبة تورثه الاستحياء من الله حق الحياء ، فلا يجعل الله أهون الناظرين إليه ، ولا أقل الحاكمين عليه ، فيصير بذلك من المؤمنين الطائعين والمخلصين وهؤلاء هم أسعد الناس جميعاً إما برفع درجاتهم فى الجنة أو بدخولهم فيها بغير حساب[١] .

وروى زيد بن الأرقم ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ــ ﷺ ــ قال " من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة " قيل يا رسول الله ما إخلاصها ؟ قال أن تحجزه عن محارم الله[٢] .

وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضل الشهادتين وأنهما سبب فى دخول الجنة حتى وإن كان القائل بهما فعل كثير من السيئات ومن ذلك ما رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ــ ﷺ ــ أنه قال " يصاح برجل من أمتى يوم القيامة على رؤوس الخلائق فينشر له تسع وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر ثم يقول الله تبارك وتعالى له تنكر من هذا شيئاً فيقول : لا يارب فيقول : أظلمك كتبتى الحافظون فيقول : لا يارب ثم يقول : ألك عذر ، ألك حسنة فيهاب الرجل فيقول لا فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وأنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج لهى بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لا تظلم فتوضع السجلات فى كفه والبطاقة فى كفه فطاشت السجلات وثقلت البطاقة [٣] .

وقال الصنابحى : دخلت على عبادة بن الصامت وهو فى الموت فبكيت فقال : مهلاً لم تبكى ؟ والله ما من حديث سمعته من رسول الله ــ ﷺ ــ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسى سمعت رسول الله ــ ﷺ ــ من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار[٤] .

---

[١] الشفاعة عند الله يوم القيامة د / محمد مجاهد نور الدين ص ٧٩ ، ٨٠ ط : العمرانية الجيزة ط : الأولى

[٢] أخرجه القرطبى فى التذكرة ص ٢٨٩ ونسبه للترمذى الحكم فى نوادر الأصول .

[٣] أخرجه ابن ماجه ٤٣٠٠ والحكم ٥٩٩/١ ، وكنز العمال ١١٠ ونسبه للبخارى .

[٤] صحيح مسلم فى الإيمان رقم ٤٧ وهو شطر من حديث والنسائى فى عمل اليوم والليلة ١٠٦٧ .

ومن السعداء أيضاً بشفاعة النبى ــ ﷺ ــ الذين يسألون الله عز وجل لنبيهم الوسيلة والفضيلة وأن يعطه المقام المحمود الذى وعده يوم القيامة فقد روى البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله ــ ــ قال " من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة "[١] .

هؤلاء القوم هم اسعد الناس بشفاعة النبى ــ ﷺ ــ نسأل الله عز وجل أن يجعلنا منهم آمين .

الحكمة من الشفاعة :

يرى العلماء أو المحققون من المسلمين أن الشفاعة عند الله يوم القيامة إنما هى مظهر تكريم للشافعين وإعلاء لمنزلتهم بإجراء الإحسان على أيديهم لمن أراد الله الإحسان إليه[٢] .

فالحكمة من الشفاعة " رفع مرتبة الشفيع . والدلالة على منزلته من المشفوع[٣] وإفاضة الكرم الإلهى على المشفوع له .

ولا شك أن الذين يشفعهم الله يوم القيامة ويأذن لهم بذلك من الملائكة والأنبياء والصالحين وما شاء الله أن يشفع هم أهل لهذا التكريم من المولى عز وجل لما له من مكانة عالية فى العبادة والخضوع والاستسلام لله رب العالمين . كما قال عز وجل [وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان][٤] .

ولكن فائدة هذا التكريم لا تقتصر عليهم وحدهم ، وإنما تتعدى هذه الفائدة إلى غيرهم من المؤمنين . ذلك أن هذا التكريم الذى أعلنه الوحى الإلهى وأخبرنا به فصار

---

[١] صحيح البخارى بحاشية السندى ج ٣ ص ١٥١ تفسير سورة بنى إسرائيل .

[٢] الشفاعة عند الله يوم القيامة د / محمد مجاهد نور الدين ص ٦٤ ط : العمرانية الجيزة

[٣] شرح الأصول الخمسة ــ القاضى عبد الجبار ــ ص ٦٨٩ .

[٤] سورة الرحمن آية ٦٠ .

عقيدة لنا من شأنه أن يحدث فى النفس مزيداً من الحب والإكبار والاحترام لهؤلاء الذين خصهم الله ومن عليهم بالشفاعة يوم القيامة .

فالغاية من الشفاعة : إظهار كرامة من كرم الله عز وجل وقد بين عز وجل أن اكرم الأكرمين وسيد الأولين والآخرين هو محمد ـ ﷺ ـ وقد بين كرامة الملائكة المقربين وكرامة المؤمنين وكرامة الصالحين وكرامة العلماء العاملين وكرامة الشهداء وكرامة الصيام وكرامة القرآن العظيم عند رب العالمين .

وقت الشفاعة :

أما وقت هذه الشفاعة فهى بعد عبور الصراط وبعد أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيناشد أهل الجنة ربهم لإخراج إخوانهم من النار فيقولون " ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً "[١] .

وقوله ـ ﷺ ـ : " يدخل الله أهل الجنة الجنة ، يدخل من يشاء برحمته ، ويدخل أهل النار النار ، ثم يقول انظروا من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون منها حمماً قد امتحشوا فيلقون فى نهر الحياة ، أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية "[٢]

حكم الشفاعة :

الشفاعة جائزة عقلاً وواقعة فعلاً .

أما كونها جائزة عقلاً ، فلأنه يجوز عقلاً وسمعاً أن يغفر الله غير الكفر من الذنوب بلا شفاعة ، فبالشفاعة من باب أولى .

أما غفران الكفر فإنه وإن جاز عقلاً فإنه ممتنع سمعاً قال تعالى :[إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء][٣] .

---

[١] سبق تخريج الحديث .

[٢] صحيح مسلم كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار حديث رقم ١٨٤/٣٠٤ ط : فيصل عيسى الحلبى .

[٣] سورة النساء آية (٤٨)

أما جواز غفران الذنوب دون الكفر سمعاً وعقلاً ، ما ورد من آيات تفيد أن الله يعفو ويصفح ويغفر الذنوب قال تعالى : [إن الله يغفر الذنوب جميعاً][1] . هذا من ناحية السمع ، أما عقلاً فلأن مقترف الذنب لا ينفك من الخوف من العقاب والرجاء للمغفرة فهو يشعر بنقص فى نفسه بخلاف الكافر.

يقول الجوينى : فمذهب أهل الحق أن الشفاعة حق وقد أنكرها منكروا الغفران ومن جوز الصفح ، العفو بدأ من الله تعالى فلا يمنع الشفاعة ثم يقول " ولا يقبح عند العقلاء أن يشفع الملك فى بعض المخلصين لديه فى مذنب استحق عقاباً ولا ينكر ذلك إلا منعنت "[2] .

أما كونها واقعة فعلاً :

فقد شهدت بذلك الأخبار التى بلغت حد الاستفاضة وقد سبق ذكر كثير من الآيات القرآنية الدالة على إثبات الشفاعة ، وأيضاً سبق ذكر الأحاديث النبوية الصحيحة الدالة على ثبوت الشفاعة .

فإذا شهد العقل بالجواز وأيدته شواهد السمع فلا يبقى إلا الاعتقاد بجوازها عقلاً وسمعاً .

مذهب أهل السنة والمعتزلة فى الشفاعة :

لا خلاف بين أهل السنة والمعتزلة فى إثبات الشفاعة للنبى ــ ﷺ ــ وغيره إلا فى الشفاعة لمرتكبى الكبيرة .

فأهل السنة يقولون بجواز الشفاعة لمرتكب الكبائر من المسلمين وعدم تخليده فى النار[3]

أما المعتزلة ومن شايعهم من الخوارج فإنهم ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر[4] الذين ماتوا وهم مصرون عليها على خلاف ما بين المعتزلة والخوارج فى بيان الكبيرة ،

---

[1] سورة الزمر آية (٥٣)

[2] الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الأحكام لإمام الحرمين أبو المعالى الجوينى ص ٥٩٥ ط : مؤسسة السعادة .

[3] مقالات الإسلاميين الاشعرى ج٢ ص ٦٦ ط : مكتبة النهضة .

[4] المرجع السابق وانظر أصول الدين البغدادى ص ٢٤٤ ط : بيروت .

فالخوارج يعتبرون كل الذنوب كبائر ، لأنه لا واسطة عندهم بين الإيمان والكفر ، فمرتكب الكبائر عندهم كافر[١] .

والمعتزلة يرون أن مرتكبى الكبيرة لا يسمى مؤمناً ولا يسمى كافراً بل هو فى منزلة بين المنزلتين أى فى توسط بين الإيمان والكفر .

وعلى كلا الرأيين فإنه لا شفاعة لمرتكب الكبيرة غاية ما فى الأمر أنه يعذب عذاب الكفار عند الخوارج ، وعذاب الفساق عند المعتزلة .

إذا فقد اتضح أن الخلاف فى جواز الشفاعة لمرتكبى الكبيرة عند أهل السنة وامتناعها عند المعتزلة ومن شايعهم .

أدلة أهل السنة على جواز الشفاعة لأهل الكبائر :

أجمع أهل السنة على صحة الشفاعة لأهل الكبائر من هذه الأمة واستدلوا على رأيهم بأدلة نقلية وأخرى عقلية .

أولا : الأدلة النقلية :

أ ــ استدل أهل السنة على ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر من المسلمين بأن يعفوا الله عنهم ويصفع ويستجيب لشفاعة الشافعين فيهم بأدلة نذكر منها :

١ــ قوله تعالى فى صفة الكفار [فما تنفعهم شفاعة الشافعين][٢] وقوله تعالى [ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع][٣] فتخصيص الكفار بهذا الحال فى عدم انتفاعهم بالشفاعة يدل على أن المؤمن بخلافه منتفع بالشفاعة " وإلا لم يكن لنفى الشفاعة عن

---

[١] الخوارج عشرون فرقة ، وهم على خلاف بينهم فى مرتكبى الذنوب فالنجوات من الخوارج لا يكفرون أصحاب الحدود من موافقيهم . وقال قوم من الخوارج إن التكفير إنما يكون بالذنوب التى ليس فيها وعيد مخصوص أما التى فيها حد أو وعيد فى القرآن فلا يزاد صاحبه على الاسم الذى ورد فيه مثل تسميته زانياً ، أو سارقاً ونحو ذلك . انظر " الفرق بين الفرق ــ البغدادى ص ٩٢ ط : دار التراث القاهرة

[٢] سورة المدثر آية ٤٨ .

[٣] سورة غافر آية ١٨

خصوص الكفار لتقبيح حالهم معنى[١] ويقول ابن حزم " الشفاعة التى أبطلها الله عز وجل هى غير الشفاعة التى أثبتها عز وجل ، وإذ لا شك فى ذلك ، فالشفاعة التى ابطل عز وجل هى الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون فى النار ، قال تعالى [لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها][٢] . " نعوذ بالله منها " فإذ لا شك فيه ، فقد صح يقيناً أن الشفاعة التى أوجب الله عز وجل لمن أذن له ، وأتخذ عنده عهدا ، ورضى قوله . فإنما هى لمذنبى أهل الإسلام وهكذا جاء الخبر الثابت[٣] .

٢ــ مما استدل به أهل السنة قوله تعالى " واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات "[٤] قالوا إن مرتكبى الكبيرة مؤمن ، وطلب المغفرة لذنب المؤمن شفاعة لهم فى إسقاط عقابه عنه وقال الرازى : إن الله أمر نبيه ــ ﷺ ــ أن يستغفر للمذنب منهم فإذا أتى بهذا الاستغفار فالظاهر أنه يجب أن يشرفه الله تعالى بالإجابة إليه ، وإلا لكان قد أمره بالدعاء ليرد دعاءه فيصير بذلك محض التحقير والإيذاء وهو غير لائق بالله تعالى ، ولا بمحمد ــ ﷺ ــ فدل على أن الله تعالى أمر رسوله بالاستغفار لكل العصاه وجب أن يحصل هذا الاستغفار تحصيلاً لمرضاته ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ لقول الله تعالى فى حقه ــ ﷺ ــ " ولسوف يعطيك ربك فترضى "[٥] ويلزم من مجموع ذلك : أن الله تعالى يقبل شفاعة محمد ــ ﷺ ــ فى حق الفساق[٦]

٣ــ قال تعالى " وقهم السيئات "[٧] .

---

[١] إنقاذ الهالكين ــ محمد عبد الحافظ الأمير ــ ص ٨

[٢] سورة فاطر آية ٣٦

[٣] الفصل فى الملل والأهواء والنحل ــ ابن جزم ج ٤ ص ١١٢ ، ١١٣ ط : عكاز السعودية .

[٤] سورة محمد آية ١٩

[٥] سورة الضحى آية ٥

[٦] الأربعين فى أصول الدين ج ٢ ص ٢٤٥ ط : الكليات الأزهرية ، والتفسير الكبير للرازى ج ٣ ص ٦١ ط : بيروت

[٧] سورة غافر آية

وجه الاستدلال فى هذه الآية أن هذه صريحة فى شفاعة الملائكة فى وقاية المؤمنين شرور ذنوبهم يوم القيامة ولم يذكر فيها زيادة الثواب فصح أن الشفاعة فى الذنوب والسيئات أن يغفر لها ويتجاوز عنها .

٤ــ قال تعالى [ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما][١] .

وجه الاستدلال فى هذه الآية قالوا أن شفاعة الرسول ــ ﷺ ــ مقبولة فى الدنيا فوجب أن تكون مقبولة فى الآخرة لأنه لا قائل بالفرق بينهما[٢] .

٥ــ قول الله تعالى فى حق الملائكة [يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون][٣] .

وجه الاستدلال فى هذه الآية أن صاحب الكبيرة مرتضى عند الله ، وكل من كان مرتضى عند الله وجب أن يكون من أهل الشفاعة ، إنما قلنا : إن صاحب الكبيرة مرتضى عند الله تعالى ، لأنه مرتضى بحسب إيمانه وتوحيده ، وكل من صدق عليه أنه مرتضى عند الله بهذا الوصف يصدق عليه أنه مرتضى عند الله ، لأن المرتضى عند الله جزء من مفهوم قولنا : مرتضى عند الله بحسب إيمانه ومتى صدق المركب ، صدق المفرد ، فثبت أن صاحب الكبيرة مرتضى عند الله ، ووجب أن يكون من أهل الشفاعة لقول الله تعالى " ولا يشفعون إلا لمن ارتضى " فنفى الشفاعة إلا لمن كان مرتضى والاستثناء عند النفى إثبات ، فوجب أن يكون المرتضى أهلاً لشفاعتهم . وإذا ثبت أن صاحب الكبيرة داخل فى شفاعة الملائكة وجب دخوله فى شفاعة الأنبياء ، وشفاعة محمد ــ ﷺ ــ ضرورة [٤] .

٦ــ قوله تعالى [فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم][٥] .

---

[١] سورة النساء آية ٦٤

[٢] التفسير الكبير ــ الرازى ج ٣ ص ٦١

[٣] سورة الأنبياء آية ٢٨

[٤] التفسير الكبير ــ الرازى ج ٣ ص ٦٠ ، ٦١ .

[٥] سورة إبراهيم آية ٣٦

ووجه الاستدلال فى هذه الآية إن قوله تعالى[١] [ومن عصانى فإنك غفور رحيم] لا يجوز حمله على الكافر لأنه ليس أهلاً للمغفرة بالإجماع ، ولا حمله على صاحب الصغيرة ، ولا حمله على صاحب الكبيرة بعد التوبة ، لأن غفرانه واجب عقلاً عند الخصم فلا حاجة إلى الشفاعة ، فلم يبق إلا حمله على صاحب الكبيرة قبل التوبة .

ومما يؤكد الدلالة على ذلك أنه ــ عليه السلام ــ تلا قول الله تعالى فى إبراهيم [ومن عصانى فإنك غفور رحيم] وقوله الله تعالى على لسان عيسى ــ عليه السلام ــ [إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم][٢] ثم رفع يديه وقال " أمتى أمتى وبكى فقال الله تعالى : يا جبريل أذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك فآتاه جبريل فسأله فأخبره رسول الله ــ ﷺ ــ بما قال : فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له : إن سنرضيك فى أمتك ولا نسوؤك "[٣] .

٧ــ جاء فى السنة النبوية أيضاً ما يدل على حصول الشفاعة لمذنبى هذه الأمة منها : قول الرسول ــ ﷺ ــ :

" شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى " قال راوى الحديث " من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة "[٤] .

وقوله ــ ﷺ ــ : " خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ، أترونها للمتقين ؟ لا ولكنها للمذنبين المتلوثين الخاطئين[٥] .

وروى عن أبى هريرة عن الرسول ــ ﷺ ــ أنه قال :

---

[١] تفسير الرازى ج ٣ ص ٦١

[٢] سورة المادة آية ١١٨ .

[٣] رواه مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان دعاء النبى ﷺ لأمته وبكاؤه شفقة عليهم ج ١ ص ٤٨١ ط : الشعب والحديث عن عبد الله بن عمر .

[٤] سنن الترمذى كتاب صفة القيامة ج٤ ص ٢٢٥ ط ك مصطفى الحلبى .

[٥] سنن ابن ماجه كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة ج ٢ ص ١٤٤١ ط ك عيسى الحلبى والحديث عن أبى موسى الأشعرى ورواه أيضاً الترمذى فى كتاب صفة القيامة ج ص ٦٢٧ ط : مصطفى الحلبى

" لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وإنى اختبأت دعوتى لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا[١] وصاحب الكبيرة الذى لا يشرك بالله شيئا من أمته ــ ﷺ ــ فوجبت أن تناله الشفاعة .

يقول القرطبى : شفاعة الرسول ــ ﷺ ــ والملائكة والنبيين والمؤمنين لمن كان له عمل زائد على مجرد التصديق ومن لم يكن معه من الإيمان خير من الدين يتفضل الله عليهم فيخرجهم من النار فضلاً وكرماً وعداً وحقاً وكلمته صدقا " إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء "[٢] فسبحان الرؤوف بعبده الوفى بعهده[٣] .

ويقول الباقلانى : الأخبار فى الشفاعة أكثر من أن يؤتى عليها وهى كلها متواترة متوافقة على خروج الموحدين بشفاعة الرسول ــ ﷺ ــ وإن اختلفت ألفاظها ففى بعضها أنهم يخرجون بعدما صاروا فحما ، وفى آخر أنهم يخرجون منها ضبائر ضبائر ، فيلقون فى نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ، وأنهم يدخلون الجنة مكتوب على جباههم الجهنميون وفى خبر آخر عتقاء الله من النار ، وأن آخر من يخرج من النار رجل يقول فى النار يا حنان يا منان[٤] .

ثانيا : الدليل العقلى على ثبوت الشفاعة لمرتكب الكبيرة :

أن استشفاع أحد بآخر فى دنيا الناس هذه من الأمور الممكنة عقلاً ، إذ يجوز أن يشفع فى مذنب شافع عند عزيز فيقبل شفاعته لأن العفو من صفة الكرام فإذا كنا نقبل هذا عقلاً فى دنيانا ونستريح إليه ، فلماذا لا نقول به فى الحياة الأخرى من رسول كريم ومن رب رؤوف رحيم .

يقول إمام الحرمين " إن تشفيع الشفعاء من مجوزات العقول ، لأننا إذا رجعنا إلى شواهد الشاهد لا يقبح عند العقلاء أن يشفع الملك فى بعض المخلصين المصطفين لديه فى

---

(١) مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب دعوة النبى لأمته ج ١ ص ٤٧٨ ط : الشعب .

(٢) سورة النساء آية ٤٨ .

(٣) التذكرة ــ القرطبى ص ٤٠٥ ط : المكتبة التوفيقية القاهرة .

(٤) التمهيد فى الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج لأبى بكر الباقلانى ص ٣٦٧ ط : لجنة التأليف والترجمة والنشر .

مذنب استحق عقاباً ، ولا ينكر ذلك إلا متعنت فكذلك الأمر فى الغالب .. فإذا ثبت جواز التشفيع عقلاً وعضدته شواهد السمع فلا يبقى بعد ذلك للإنكار مضطرب[١] .

أدلة المعتزلة على نفى الشفاعة لأهل الكبائر والرد عليها :

قد استند المعتزلة على مذهبهم فى نفى الشفاعة عن مرتكب الكبيرة الذى مات دون توبه على أدلة نقلية وعقلية .

أولا : أدلة المعتزلة النقلية والرد عليها :

١ــ قول الله تعالى [واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون][٢] .

ووجه الاستدلال فى هذه الآية " أن النفس عامة تشمل العاصى والكافر ، والضمير راجع إليها فيكون المعنى .

ولا يقبل فى أى نفس عاصية كانت أو كافرة شفاعة ، فقد نفت الآية الشفاعة عن العاصى[٣] .

يقول الزمخشرى : فان قلت هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاه ، قلت: نعم لأنه نفى أن تقضى نفس عن نفس حقاً أخلت به من فعل أو ترك ، ثم انه نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنها لا تقبل للعصاة[٤] .

وأجيب عن ذلك : بأن الضمير فى قوله تعالى"ولا يقبل منها" راجع إلى النفس الثانية وهى ليست عامة ، بل هى النفس اليهودية بدليل أن سوق الآية وسبب نزولها خاص باليهود الذين زعموا أن أنبياءهم تشفع لهم فرد الله عليهم زعمهم بقوله "ولا يقبل منها شفاعة[٥] .

---

[١] الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الأحكام لإمام الحرمين أبو المعالى الجوينى ص ٥٩٤ ، ٥٩٥ ط : مؤسسة السعادة .

[٢] سورة البقرة آية ٤٨

[٣] مذكرات فى التوحيد ــ الشيخ صالح الشرف ص ١٤٩ .

[٤] تفسير الكشاف للزمخشرى ج ١ ص ٦٧ ط دار المصحف بالقاهرة .

[٥] مذكرات فى التوحيد – الشيخ صالح شرف ص ١٥٠

أو يقال انه لا عموم له فى الأعيان، لأن الضمير لقوم معينين فلا يلزم أن لا تنفع الشفاعة غيرهم ، ولا فى الأزمان لأنه لوقت مخصوص فلا يلزم عدم نفعها فى غير ذلك الوقت [١] .

٢ ـ قول الله تعالى [ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع][٢] .

ووجه الاستدلال فى هذه الآية : أن صاحب الكبيرة ظالم وقد نفى الله تبارك وتعالى عنه الشفاعة فلا يجوز أن يشفع له الرسول ﷺ.

يقول الزمخشرى : إن الشفعاء هم أولياء الله ، وأولياء الله لا يحبون ولا يرضون إلا من أحبه ورضيه الله وأن الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم ، وإذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم.[٣]

وأجيب عن ذلك : يقول الباقلانى "إن معنى الآية انه لا شفاعة للظالمين بالكفر والشرك الذين لا طاعة معهم . قال تعالى "إن الشرك لظلم عظيم"[٤] ولم يرد أهل التوحيد ، كما لم يرد عندكم أهل الصغائر الواقعة مع مجانبة الكبائر فلا تعلق لهم بذلك.[٥] لاسيما وأن هناك نصوصا- سبق ذكر الكثير منها- دالة على ثبوت شفاعة النبى ﷺ للعصاة من المؤمنين وإذا كان ذلك كذلك فانه يجب تأويل هذه الآية وأمثالها بالكفار جمعاً بين الأدلة. [٦]

٣ ـ قول الله تعالى [يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذ نه][٧] وقوله تعالى [من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه][٨] وقوله تعالى" لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا.[٩]

---

[١] المواقف فى علم الكلام ــ الإيجى ــ ص ٣٨٠ ط : مكتبة المتنبى بالقاهرة .

[٢] سورة غافر آية (١٨)

[٣] تفسير الكشاف للإمام الزمخشرى ج ٥ ص ١٧٨ ط : دار المصحف بالقاهرة .

[٤] سورة لقمان آية (١٣)

[٥] التمهيد للباقلانى ص ٣٧١

[٦] شرح العقائد النسفية ـ التفتازانى- تحقيق د/ أحمد حجازى ص ٧٦ ط : الكليات الأزهرية

[٧] سورة يونس آية (٣)

[٨] سورة البقرة آية (٢٥٥)

[٩] سورة النبأ آية (٣٨)

ووجه الاستدلال فى هذه الآيات : أن الله تبارك وتعالى قد نفى الشفاعة عمن لم يأذن فى شفاعته وصاحب الكبيرة ممن لم يأذن فى شفاعته لأن هذا الإذن لو عرف لعرف إما بالعقل أو النقل ، والعقل لا مجال له فيه، أما النقل فأما بالتواتر أو الآحاد ، و الآحاد لا مجال له فيه، لأن رواية الآحاد لا تفيد إلا الظن ، والمسألة علمية، والتمسك فى المطالب العلمية بالدلائل الظنية غير جائز ، وأما بالتواتر فباطل لأنه لو حصل ذلك لعرفه جمهور المسلمين ولو كان كذلك لما أنكروا هذه الشفاعة فحيث أطبق الاكثرون على الإنكار ، علمنا أنه لم يوجد هذا الإذن.[١]

وأجيب عن ذلك : بأن هذه الآيات تدل على أنه ليس لأحد من الخلق أن يقدم على الشفاعة إلا بإذن من الله تعالى فهى تنص على ثبوت الشفاعة عنده عز وجل لمن أذن له ورضيه ولقد أذن الله سبحانه وتعالى لرسوله وأرتضى منه الشفاعة فهى واقعة إن شاء الله.[٢]

ويقول ابن حزم : "لقد نص الحق تعالى على أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ممن أذن له فيها ورضى قوله ولا أحد من الناس أولى بذلك من محمد ﷺ ، لأنه أفضل ولد آدم عليه السلام.[٣]

٤ - قوله تعالى [ولا يشفعون إلا لمن ارتضى][٤]

ووجه الاستدلال بهذه الآية : أن الفاسق ليس بمرتضى فوجب نفى الشفاعة عنه.[٥] فقد "زعمت المعتزلة أن الله أخبر عن ملائكة أنهم لا يشفعون لأحد إلا أن يرتضيه الله عز وجل والفاسق ليس بمرتضى عند الله وإذا لم تشفع الملائكة له فكذا الأنبياء عليهم السلام لأنه لا قائل بالفرق[٦] .

---

[١] التفسير الكبير - الفخر الرازى ج ٣ ص ٥٧ ، ٥٨

[٢] دراسات فى العقيدة حول السمعيات د/ محمد عبد الصبور ص ٢٥٢ ط : دار الطباعة المحمدية

[٣] الفصل - ابن حزم - ج٤ ص ١١٢ ط: عكاظ السعودية

[٤] سورة الأنبياء آية (٢٨)

[٥] الأربعين فى أصول الدين الرازى ص ٢٥٠ ط : الكليات الأزهرية .

[٦] التفسير الكبير الفخر الرازى ج٣ ص ٥٧ .

ويجاب عن ذلك : بأن هذه الآية لا تدل على مذهب المعتزلة ، يقول ابن حزم " وهذا لا حجة لهم فيه ، لأن من أذن الله فى إخراجه من النار وإدخاله الجنة ، وأذن للشافع فى الشفاعة له فى ذلك ، فقد ارتضاه، وهذا حق وفضل الله تعالى على من قد غفر له ذنوبه، بأن رجحت حسناته على كبائره ، أو بأن لم تكن له كبيرة ، أو بأن تاب عنها فهو مغن عن شفاعة كل شافع ، فقد حصلت له الرحمة والفوز ، من الله تعالى وأمر به إلى الجنة ففى ماذا يشفع له؟ و إنما الفقير إلى الشفاعة من غلبت كبائره على حسناته، فأدخل النار ، ولم يأذن تعالى بإخراجه منها إلا بالشفاعة.[١]

ويقول الباقلانى : أن هذه الآية لا تدل على مذهب المعتزلة إذ معناها" لا يشفعون إلا لمن رضى الله سبحانه أن يشفعوا له وأذن فيه ، ولم يرد بذلك أنهم لا يشفعون إلا لمن رضى عمله ، لأن من رضى سائر عمله لا يحتاج إلى الشفاعة.ويحتمل أيضاً أن يكون أراد أنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى عمله الذى هو غير ذنبه الذى يستوجب به العقاب فكأنه قال : لا يشفعون إلا لمن معه عمل مرتضى، والفاسق - مرتكب الكبيرة - معه طاعات ، وبر ، وقرب ، وتصديق وتوحيد ، وذلك أجمع مرتضى منه ، و إنما تدل هذه الآية على أنه لا شفاعة لكافر لأن الكفر لا طاعة معه[٢] . وقال الرازى " وصاحب الكبيرة مرتضى عند الله لأنه مرتضى عند الله بحسب إيمانه ومتى صدق عليه أنه مرتضى فى الصفة الفلانية ، صدق عليه أنه مرتضى ، لأنه متى صدق المركب صدق المفرد ، وإذا كان كذلك وجب أن يدخل تحت قوله " إلا لمن ارتضى " والاستثناء من النفى إثبات فوجب ثبوت الشفاعة له . وقوله تعالى " لا يشفعون إلا لمن ارتضى " معناه ولا يشفعون إلا لمن ارتضى الله منه فعلاً والفاسق قد ارتضى الله منه فعلاً وهو الإيمان. فكان داخلاً تحت هذا الاستثناء .[٣]

٥ - يستند المعتزلة كذلك على أحاديث من السنة النبوية يرونها تدل على نفى الشفاعة عن صاحب الكبيرة منها : ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قول الرسول ﷺ "لا يدخل الجنة نمام ولا مدمن خمر ولا عاق لوالديه[٤] .

---

[١] الفصل – ابن حزم – ج٤ ص ١١٣

[٢] التمهيد – الباقلانى – ص ٣٧١ .

[٣] الأربعين فى أصول الدين – الرازى – ص ٢٤٦ ، ٢٤٨ .

[٤] سنن النسائى كتاب الزكاة باب المنان بما أعطى ج٦ ص٦٠ ط : مصطفى الحلبى .

وما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قول الرسول ﷺ"من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً"[١] .

ووجه الاستدلال فى هذين الحديثين : أن رسول الله ﷺ لو كان شفيعاً لهم لما نفى دخول الجنة عن النمام وعن مدمن الخمر والعاق لوالديه كما فى الحديث الأول . ولما ذكر أن القاتل لنفسه فى النار خالداً مخلداً كما فى الحديث الثانى.

ويجاب عن ذلك : بأن من فعل هذه الأشياء على وجه الاستحلال لها فان الرسول- ﷺ - لا يشفع له ، يقول ا الباقلانى "إن قوله ﷺ من قتل نفسه أو من أدمن الخمر أو عق والديه محمول على فعل ذلك أجمع على وجه الاستحلال[٢].

ثانياً: أدلة المعتزلة العقلية على نفى الشفاعة والرد عليها :

لقد أستند المعتزلة ومن تابعهم إلى أدلة عقليه على نفى الشفاعة عن مرتكب الكبيرة منها :

١ -أن إثبات الشفاعة لمرتكب الكبيرة فيه تجرئه ومساعدة على ارتكاب المعصية، كما أن فيه تبليغ غير المستحق للثواب إلى درجة المستحق وذلك فى حكمته جل وعلا غير جائز[٣]

ويجاب عن ذلك بأن إثبات الشفاعة لأصحاب الكبائر ليس فيه مساعده ولا إغراء لهم على المعصية بل فيه دفع لهم إلى طلب الرجاء والغفران، وعدم اليأس من رحمة الله تبارك وتعالى ، والله تعالى يقول "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"[٤] .

---

[١] صحيح مسلم – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ج١ كتاب الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه . حديث رقم ١٠٩/١٧٥ .

[٢] التمهيد للباقلانى ص٣٦٩

[٣] التفسير الكبير – الفخر الرازى ج٧ ص ١٠

[٤] سورة النساء آية (٤٨)

فإذا كان يجوز غفران غير الكفر من الذنوب بلا شفاعة فبالشفاعة من باب أولى.

أما الادعاء بأن فى الشفاعة تبليغ غير المستحق للثواب إلى درجة المستحق فالجواب عنه من وجهين :

الأول : إن العقاب حق الله تعالى وللمستحق أن يسقط حق نفسه ، بخلاف الثواب فانه حق العبد فلا يسقطه الحق جل وعلا.

الثانى : إننا لا نسوى بين المطيع و العاصى لأن المطيع لا يكون خائفاً من العقاب ، والمذنب يكون فى غاية الخوف وربما يدخل النار ويتألم مدة ثم يخلصه الله تعالى من ذلك بشفاعة الرسول ﷺ[١] .

٢ ـ ومما استدل به المعتزلة أيضاً على نفى الشفاعة عن مرتكب الكبيرة قولهم : أن الأمة قد اتفقت على قولهم :"اللهم اجعلنا من أهل الشفاعة "[٢] .

ووجه الاستدلال فى ذلك أنه لو لم تحصل أهليه الشفاعة إلا لأهل الكبائر ، لكان معنى هذا السؤال :اللهم اجعلنا من أهل الكبائر ومن الفساق ومعلوم أن ذلك باطل[٣] . ويجاب عن ذلك بأن الأمة اتفقت على ذلك لاتفاقهم على أن الإنسان معرض للتقصير لذا فهو يخاف العقاب ويطلب الرحمة من الله بطلبه لشفاعة الرسول ﷺ .

وقيل إنما يطلب كل مسلم شفاعة الرسول ﷺ ويرغب إلى الله فى أن تناله لاعتقاده أنه غير سالم من الذنوب ولا قائم لله سبحانه بكل ما افترض عليه ، بل كل واحد معترف على نفسه بالتقصير ، فهو لذلك يخاف العقاب ويرجو النجاة وقد قال ﷺ "لا ينجو أحد إلا برحمة الله تعالى. قيل ولا أنت يا رسول الله ، فقال: ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته[٤].

---

[١] التفسير الكبير – الفخر الرازى ج٧ ص١٠ .

[٢] شرح الأصول الخمسة – القاضى عبد الجبار ص٦٩٢ .

[٣] الأربعين فى أصول الدين – الرازى ص٢٥٠ .

[٤] فتح البارى بشرح صحيح البخارى كتاب الرفاق باب القصد المداومة على العمل ج١٤ ص٧٩ ط : مصطفى الحلبى .

الرد على منكرى الشفاعة :

قد تبين مما سبق اتفاق الأمة الإسلامية على ثبوت الشفاعة.. وأن الخلاف بين المسلمين لم يكن حول الشفاعة بجميع أنواعها التى عرفناها ، وإنما الخلاف هو فى الشفاعة لأهل الكبائر فقد أثبتها الاشاعرة والماتريدية وأهل السنة، وقالوا بجواز الشفاعة لمرتكب الكبيرة وعدم خلوده فى النار أو الشفاعة له قبل دخول النار فلم يدخلها . ونفاها المعتزلة والخوارج وقالوا بعدم جواز الشفاعة لمرتكب الكبيرة وذلك على أساس قاعدتهم التحسين والتقبيح العقليين وقالوا الشفاعة إنما هى "لزيادة الثواب لا لدرء العقاب"[١] .

يقول القاضى عبد الجبار - وهو من شيوخ المعتزلة-: وجملة القول فى ذلك هو أنه لا خلاف بين الأئمة فى أن شفاعة النبى ثابتة للأمة وإنما الخلاف فى أنها تثبت لمن؟ فعندنا "يعنى المعتزلة" أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين "[٢] أى ليست لعصاة المسلمين الذين ماتوا على العصية دون توبة.

وقد سلك منهج المعتزلة فى زماننا هذا الدكتور مصطفى محمود بل قد ذاد فى غلوه عنهم حيث أنكر الشفاعة جميعاً وطعن فى صحة الأحاديث النبوية وادعى أنها تتعارض مع القرآن إلى غير ذلك من أقواله. حيث قاس شفاعة الآخرة على شفاعة الدنيا وقال أن ذلك هى فوضى الوسايط والمحسوبيات وقال أن موقف يوم القيامة ليس فيه مجال للمسلومات. فقال فى كتابة" الشفاعة "

"ولن ينجو من المذنبين إلا من تكرم عليه رب العزة وفتح له باباً للتوبة قبل الممات.. إذن الوسيلة الوحيدة للنجاة من العقاب هى أن يقى ربنا عباده من الوقوع فى السيئات أصلاً .. أو يفتح لهم باب التوبة فى حياتهم إذا تورطوا فيها. وهذه هى أبواب الشفاعة الممكنة وهى دعاء النبى لمسلمى هذه الأمة بأن يختم حياتهم بتوبة.

ويقول: أما الشفاعة بمعنى هدم الناموس و إخراج المذنبين من النار وإدخالهم الجنة، فهى فوضى الوسايط التى نعرفها فى الدنيا ، ولا وجود لها فى الآخرة .. وكل ما جاء بهذا المعنى فى الأحاديث النبوية مشكوك فى سنده ومصدره لأنه يخالف صريح القرآن !!

---

[١] شرح المواقف – السيد الشريف الجرجانى مجلد ٤ ج٨ ص ٣٤١ بيروت .

[٢] شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار تحقيق د/ عبد الكريم عثمان ص ٦٨٨ ط : مكتبة وهبه .

ويقول : ولا يعقل من نبى القرآن أن يطالب بهدم القرآن. ولكن المسلمين الذين عرفوا بالإتكالية قد باتوا يفعلون كل منكر ويرتكبون عظائم الذنوب اتكالا على نبيهم الذى سوف يخرجهم فى حفنة واحدة من النار ويلقى بهم فى الجنة بفضله وكرمه[١] . ثم يذكر الدكتور مصطفى محمود بعض الآيات من القرآن العظيم التى تتحدث عن الشفاعة ثم يظن أن هذه الآيات تتعارض مع الأحاديث النبوية ! ومن هذه الآيات قول الله تعالى [يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم][٢] وقوله تعالى [إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولم تجد لهم نصيرا][٣] . وقوله تعالى[ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين][٤] . وقوله تعالى [ما من شفيع إلا من بعد إذنه "[٥] وقوله تعالى "قل لله الشفاعة جميعا"[٦] وقوله تعالى [ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع] [٧] : وقوله تعالى [ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً][٨] وقوله تعالى[يارب أن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا][٩] وقوله [أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار][١٠]

ثم يقول بعد ذكر هذه الآيات :وهذه الثوابت القرآنية تتناقض تماماً مع مرويات الأحاديث النبوية فى كتب السيرة عن إخراج الرسول عليه الصلاة والسلام لمن يشاء من أمته من النار مما يؤكد أن هذه الأحاديث موضوعة ولا أساس لها من الصحة ولا يمكن أن

---

[١] الشفاعة د/ مصطفى محمود ص٢٦،٢٧ ط :أخبار اليوم عدد يوليو ١٩٩٩م الطبعة الثانية

[٢] سورة المائدة آية (٣٧)

[٣] سورة النساء آية (١٤٥)

[٤] سورة النساء آية (١٤)

[٥] سورة يونس آية (٣)

[٦] سورة الزمر آية (٤٤)

[٧] سورة غافر آية (١٨)

[٨] سورة النساء آية (٩٣)

[٩] سورة الفرقان آية (٣٠)

[١٠] سورة الزمر آية (١٩)

تكون قد صدرت عن النبى[١] ويقول فكل من يدخل النار تتأبد إقامته فيها ولا يوجد فى القرآن حكاية التعذيب لأجل محدود فى جهنم[٢] ثم يقول : إن درجات النار وأقسامها قد تحددت سلفاً فى القرآن ومواقع المجرمين قد علمت .. فكل مجرم قد تحددت مكانته من قبل فى النار واختصت به واختص بها وهذا يؤكد أن كل ما ذكر عن إخراج الرسول عليه الصلاة والسلام بشفاعته للبعض من النار وإدخالهم الجنة مشكوك فيه[٣]

ويقول : وليس غريباً أن تمتلئ هذه الكتب بالمدسوس من أحاديث الشفاعة فنقرأ فى أحدها أن النبى عليه الصلاة والسلام يدخل بشفاعته إلى الجنة رجلاً لم يفعل فى حياته خيراً .. ويكون هذا الرجل هو آخر الداخلين إلى الجنة[٤] .

ثم يقول: ما الهدف من أمثال هذه الأحاديث المدسوسة سوى إفساد الدين والتحريض على التسيب والانحلال وفتح باب الجنة "سبهلله" للكل ..لأن الشفيع سجد عند قدم العرش وقال متوسلاً لا أبرح حتى تدخل كل أمتى الجنة يارب.

ويقول : ومرويات كثيرة رواها أصحابها بلا عدد وبلا حصر وأحياناً بحسن نية ظناً منهم أنهم يزيدون بها فى تمجيد النبى ويرفعون مقامه عند ربه ، وينسون أنهم بكلامهم يفسدون جلال المشهد ويهدمون جدية اللحظة التى تشيب لها الولدان وتزيغ فيها الأبصار وتنعقد الألسن وتتزلزل الأقدام وتذهل كل مرضعة عما أرضعت .

هل هذه لحظة يساوم فيها النبى ربه لإخراج رجل من النار وإدخاله الجنة وهو لم يفعل خيراً قط فى حياته. إن لم يكن هذا هو الهزل .. فماذا يكون؟ وحاشا لله.. ما كان لرسولنا العظيم أن يفعل هذا إن هى إلا تخرصات وأكاذيب وأقوال مدسوسة.[٥]

---

[١] الشفاعة د/ مصطفى محمود ص ٤٢

[٢] المرجع السابق ص٤١

[٣] المرجع السابق ص٤٢

[٤] هذا الحديث رواه البخارى فى " الرفاق باب الصراط جسر جهنم ، ورواه مسلم فى كتاب الإيمان باب آخر أهل الجنة دخولاً الجنة "

[٥] الشفاعة د/ مصطفى محمود ص٣٢، ٣٣ ط : أخبار اليوم الطبعة الثانية عدد يوليو ١٩٩٩ م

تلك هو رأى الدكتور/مصطفى محمود فى الشفاعة ويتضح من خلال ما قدمنا أنه : قد أنكر عقيدة أهل السنة والجماعة ملقياً وراء ظهره بتراث الأمة الذى ساهم فى بنائه الألوف المؤلفة من العلماء خلال أربعة عشر قرناً من الزمان معتمداً على فهمه الخاص للآيات رافضاً قواعد المحدثين فى نقد السند تلك التى يميزون بين الصحيح والحسن والضعيف والمكذوب وغير ذلك، فهل تبنى العلوم على الآراء الشخصية ونتائج الأبحاث الفردية والاجتهادات الخاصة فى موضوعاتها وقضاياها أم لا يعتمد من النتائج إلا ما اتفق عليه أهل الاختصاص.

وان رأى الدكتور مصطفى محمود فى الشفاعة قد استقبل بعاصفة حادة من الإنكار من المسلمين ولم يؤيده أحد فيما قال وقد رد عليه كثير من علماء الإسلام عامة ورجال الأزهر خاصة وسوف نذكر بعض تلك الردود : يقول فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/محمد سيد طنطاوى- شيخ الأزهر "لايجوز لمسلم أن ينكر شفاعة النبى محمد ﷺ لأنها ثابته ثبوتاً لا يصح التشكيك فيه وفى نفس الوقت نقول لمن يشكك : ما فائدة هذا التشكيك فلا يوجد عاقل يقول بأن الشفاعة معناها الاتكال ، وعدم القيام بأداء ما كلفنا الله به من فرائض ومن سلوكيات فاضلة حميدة[١] .

ويقول الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ــ رئيس جامعة الأزهر " لقد أجمع السلف والخلف من أهل السنة على ثبوت الشفاعة ووجوبها سمعاً وشرعاً بصريح قول الحق تبارك وتعالى "يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا"[٢] وقوله سبحانه "ولا يشفعون إلا لمن ارتضى"[٣] .

وجاءت الأحاديث الصحيحة والصريحة التى بلغت بمجموعها حد التواتر بصحة الشفاعة فى الآخرة لمذنبى المؤمنين ومن هذه الأحاديث ما جاء عن جابر- رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى" ومنها"و أعطيت الشفاعة " رواه البخارى ومسلم[٤] .

---

[١] ردود العلماء على منكرى السنة والشفاعة ص١٧هدية مجلة الأزهر ربيع الأول ١٤٢٠

[٢] سورة طه آية (١٠٩)

[٣] سورة الأنبياء آية (٢٨)

[٤] سبق تخريج الحديث .

وحيث ثبتت الشفاعة بالكتاب والسنة، وحيث أجمع أهل السنة عليها سلفاً وخلفاً ، فلا يلتفت إلى منكريها لأن أراءهم باطلة ولا أساس لها من الصحة.

وقد بنى المنكرون للشفاعة رأيهم الباطل على فهم غير صحيح لبعض الآيات القرآنية الواردة فى شأن الكافرين مثل قوله سبحانه وتعالى : " فما تنفعهم شفاعة الشافعين ."[١] وكقوله تعالى "ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع."[٢] ومثل قوله تعالى "يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها[٣]. وهذه الآيات كلها فى شأن الكفار وليست فى شأن المؤمنين لكن من أنكر الشفاعة أورد أمثال هذه الآيات على عمومها ولم ينظر إلى تتمتها ولا إلى من وردت فى شأنهم ، فقد قال الله تعالى قبلها :"ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم ، يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم[٤].

فهذه الآيات خاصة بالكافرين وليست مانعه من الشفاعة ولا غيرها من الآيات السابقة فهى واردة فى شأن الكافرين . ويدل على ذلك ما ورد عن جابر بن عبد الله- رضى الله عنه- قال يقول الله" يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها"[٥] قال أتل أول الآية :" ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم."[٦] "أى أنهم الذين كفروا" رواه ابن مردوية

ومما يدل على وضع منكر الشفاعة الآيات للاستدلال بها فى غير موضعها وفهمها على غير معناها الاستدلال بقول الله تعالى:" ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون ، قال اخسئوا فيها ولا تكلمون"[٧] .

---

[١] سورة المدثر آية (٤٨)

[٢] سورة غافر آية (١٨)

[٣] سورة المائدة آية (٣٧)

[٤] سورة المائدة آية (٣٦،٣٧)

[٥] سورة المائدة آية (٣٧)

[٦] سورة المائدة آية (٣٦)

[٧] سورة المؤمنون آية (١٠٧،١٠٨)

يقول الإمام ابن كثير : وهذا جواب من الله تعالى للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الديار يقول " اخسئوا فيها"أى أمكثوا فيها صاغرين مهانين أذلاء "ولا تكلمون" أى لاتعودوا إلى سؤالكم هذا.

وكذلك الحال فى الآية رقم (٦٧) من سورة البقرة " وما هم بخارجين منها" والآية التاسعة عشرة من سورة الزمر "أفأنت تنقذ من النار " والمعنى أفأنت تهديه إلى الإيمان فتنقذه من النار بالإيمان فكل هذه الآيات واردة فى شأن الكافرين وليس فى شأن المؤمنين فكيف يستدل بالآيات الواردة فى شأن الكافرين على عدم الشفاعة ؟! ومعلوم أن الكافرين مخلدون فى النار ولا تنفعهم شفاعة الشافعين ، ولا شفاعة أصلاً لهم.

وكيف توضع هذه الآيات فى غير موضعها ؟ ويستدل بها على غير ما ورد فى شأنه؟

والعجيب أن يقال "ان هذه الثوابت القرآنية تتناقض تماماً مع مرويات الأحاديث النبوية فى كتب السيرة عن إخراج لمن يشاء من أمته من النار. مما يؤكد أن هذه الأحاديث موضوعة وليس لها أساس من الصحة .

ثم نقرأ بعد ذلك ما يندى له الجبين بسبب التشكيك فى أكبر وأهم مرجع لحديث رسول الله ــ ﷺ ــ حيث يقول من أنكر الشفاعة :" ولم يقل لنا رب العالمين انه حفظ كتاب البخارى أو غيره من كتب السيرة ، وما يقوله البخارى مناقض للقرآن ولا يلزمنا فى شئ" وهذا كلام خطير ، قال به من قبل بعض الذين زعموا أنه يمكن الاكتفاء بالقرآن وهو قول باطل لا أساس له من الصحة فالقرآن نفسه أمرنا أن نأخذ ما أتانا به الرسول ــ ﷺ ــ وأن ننتهى عما نهانا عنه ، حيث قال رب العزة سبحانه :" وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا"[1]

فمن لم يأخذ بالحديث النبوى هو غير آخذ بالقرآن ، لأن القرآن أمرنا أن نأخذ ما أتانا به الرسول ــ ﷺ ــ ثم كيف يفهم القرآن بدون الحديث، والحديث هو المفسر والمفصل للقرآن وبدون الأخذ بالأحاديث لايمكن أن نعرف تفاصيل العبادات والمعاملات

---

[1] سورة الحشر آية (٧)

وسائر الأحكام الشرعية ، أنها دعوة خطيرة تلك التى ترفض أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى وهو كتاب صحيح البخارى الذى تلقته الأمة بالقبول وليس فيه حديث واحد ضعيف ، ومن رفض أصح كتب السنه فهو رافض لباقيها ثم كيف يقول الكاتب " لم يقل لنا رب العالمين أنه حفظ كتاب البخارى أو غيره من كتب السيرة وما يقوله البخارى مناقض للقرآن لايلزمنا فى شئ " أقول رداً على هذا العدوان الصارخ على أصح كتب السنة: ان الله تعالى كما تكفل بحفظ القرآن الكريم فى قوله تعالى "انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون"[١].

هذا اليقين بحفظ القرآن الكريم يفى علينا يقيناً قريباً منه بأن الله تعالى قد تكفل بحفظ كل صحيح من الحديث النبوى الشريف ليكون بياناً للقرآن الكريم الذى تكفل بحفظه حيث قال تعالى "انا علينا جمعه وقرءانه فاذا قرأنه فاتبع قرءانه ثم ان علينا بيانه[٢].

ثم قال فضيلته : فخلاصة القول أن الشفاعة ثابته بالقرآن الكريم والسنة الصحيحة ، وأن الذى يرد الأحاديث الصحيحة كالذى يدخل فى الحديث ما ليس منه كلاهما كذب على رسول الله ــ ﷺ [٣] ــ وقد قال عليه الصلاة والسلام " من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" رواه البخارى ومسلم[٤].

ونكتفى بهذا القدر من حديث رئيس جامعة الأزهر الشريف فى رده على منكر الشفاعة . لنذكر طرفاً من حديث الدكتور عبد العزيز غنيم ــ عضو مجمع البحوث الإسلامية فى ردة على الدكتور مصطفى محمود . حيث يقول :" قد قرأت المقالات الأربع قراءة جادة ومتأنية ، وتبين لى أن صاحبها قد تبنى فى حديثه عن الشفاعة مذهب المعتزلة ولم يخرج عنه قيد شعرة ومعنى هذا أنه لم يضف جديداً يذكر له فى هذه القضية غير الإثارة والبلبلة فى موضوع قد لفظ أنفاسه الأخيرة منذ مئات السنين ، ولم يعد له مكان إلا بين المطولات من كتب الكلام.

---

[١] سورة الحجر آية (١١)

[٢] سورة القيامة آية من ١٧ : ٢٠

[٣] ردود العلماء على منكرى السنة والشفاعة موضوع ثبوت الشفاعة بالقرآن والسنة لفضيلة الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف ص ٢٣ ــ ٢٧

[٤] صحيح مسلم كتاب الزهد الرقائق باب التثبيت فى الحديث وحكم كناية العلم رقم الحديث ٣٠٠٤/٧٢

وقد لاحظت على المقالات الآنفة الذكر أشياء أجملها فيما يلى :

١ ـ إنكار الأحاديث التى لا تؤيد وجهة نظر الكاتب فى الشفاعة والحكم عليها بأنها مدسوسة من غير ذكر لها ولا معرفة لدرجتها وهو ما يتنافى و المنهج العلمى الذى لا يجوز لأمثاله مخالفته.

٢ ـ إغفاله للأشياء التى لا يجد لنفيها حجة ومنها الشفاعة العظمى . وهو طلب النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من ربه صرف الناس من المحشر إلى ساحة القضاء لرفع ما هم فيه من الكرب والهول فان هذه الشفاعة قد اتفقت على ثبوتها الأحاديث الصحيحة وليس فيها ما يدعيه الكاتب من المحسوبية والتوكلية فلم هذا الإغفال يا ترى ؟

٣ـ ومنها ما زعمه الكاتب من أن النبى ـ ﷺ ـ شكا إلى ربه المسلمين المتكلين على شفاعته ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لهم من النار على الرغم مما ارتكبوا من المعاصى والآثام فقال " يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا "[1] فكيف يشكوهم ويشفع لهم؟!

والذى جاء فى تفسير القرآن العظيم لابن كثير وغيره "أن الآية إخبار عما كان من مشركى قريش نحو القرآن من إهماله وإثارة الضجيج عند تلاوته..الخ" وإذا فما جاء فى الآية شئ وما فهمه الكاتب شئ أخر .

٤ ـ ما نسبه الكاتب إلى الدكتور عبد العظيم المطعنى من أن المعتزلة نفوا الشفاعة فى الآخرة مطلقاً وهذا غير صحيح فقد أجمعت الفرق الإسلامية ومنها المعتزلة على ثبوت أصل الشفاعة فى عشرات الآيات من القرآن ، غير أن المعتزلة قصروها على الله تعالى وهذا هو الفرق بينهم وبين غيرهم من الفرق الأخرى .

٥ ـ ما ادعاه الكاتب من أنه لا إمكانية للخروج من النار لمن أدخلهم الله فيها هكذا مطلقاً ومن غير تمييز بين المشركين والعاصين من المؤمنين . وقد استدل على هذا بقول الله

---

[1] سورة الفرقان آية (٣٠)

تعالى" وما هم بخارجين من النار"[١] "يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم"[٢] " ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون ، قال اخسئوا فيها ولا تكلمون"[٣].

الجواب : إننا لا نسلم هذا الادعاء على إطلاقه ونرى أن عدم الخروج من النار مقصور على المشركين دون العصاد من المؤمنين . ولو أن الكاتب قرأ الآيات التى اعتمد عليها من بدايتها لأدراك هذه الحقيقة واضحة لا غموض فيها ولا إبهام . ثم يقول الدكتور عبد العزيز غنيم بعد ذكر الآيات كاملة : ومما سبق يتبين أن الكاتب لا يعنيه إلا أن ينتصر لرأيه ولهذا لم يذكر من الآيات إلا ما يهئ له هذا السبيل والحق أن المشركين شئ وعصاة المؤمنين شئ آخر . وأن ما يصدق على أحدهما لا يصدق على غيره ، والدليل على هذا ما جاء فى القرآن من أنه لا ينفع مع الكفر عمل " وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً "[٤] والمؤمنون على العكس من ذلك . " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها "[٥] وحتى هذه السيئات فانها لا تبقى على عواتقهم بل تذهب وتزول " إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذكرين"[٦] وإذا انتفى التساوى بينهما فى صحة الأعمال انتفى كذلك فى ديمومة الخلود فى النار.

٦ - ما أنكره الكاتب من أن يكون لمحمد ـ ﷺ ـ الأمر والشفاعة وحده فى الآخرة مستدلا على ما ذهب إليه بقوله تعالى "ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون"[٧] والجواب أن هذه الآية نزلت فى أحد بعدما أصاب النبى- عليه الصلاة والسلام- فيما أصابه وقال" كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدماء"؟! فنهاه الله تعالى عن التدخل فى هذا الأمر لأنه أمر تدبير وهو مقصور عليه- سبحانه وتعالى- ولا دخل فيه لأحد كائنا من كان فأية علاقة بين الأمر هنا والأمر والشفاعة فى الآخرة.

---

[١] سورة البقرة آية (١٦٧)

[٢] سورة المائدة آية (٣٧)

[٣] سورة المؤمنون آية (١٧٠ ، ١٠٨)

[٤] سورة الفرقان آية (٢٣)

[٥] سورة الأنعام آية (١٦٠)

[٦] سورة هود آية (١١٤)

[٧] سورة آل عمران آية (١٢٨)

٧ ـ ما ادعاه من أن الله تعالى- قد أنكر على نبيه أن يشفع فى أهل المعاصى لانقاذهم مما هم فيه من العذاب فقال" أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار"[١] .

والجواب : أن هذه الآية كما يقول القرطبى وغيره نزلت فى المشركين من أهل مكة عامه وفى أبى لهب وابنه خاصة ولا خلاف بيننا وبين الكاتب فى أنهم خالدون فى النار ولا يخرجون منها وليس للنبى ولا لغيره أن يسأل لهم الهداية بعدما أعلمه الله أنه أراد لهم الشقاوة والضلال "[٢] ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربه من بعد ما تبين لهم أنهم أصحب الجحيم"[٣] ونكتفى بهذا القدر من ردود العلماء الأفاضل على منكرى الشفاعة.

الخلاصة:

إن رأى الدكتور مصطفى محمود فى الشفاعة مخالف لإجماع الأمة فقد أجمع المسلمون ـ السلف والخلف- على ثبوت الشفاعة يوم القيامة وذلك من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وأصبح هذا الأمر مما علم من الدين بالضرورة ، فقد جاءت الشفاعة المثبتة فى كثير من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الصحيحة وقد سبق ذكر الكثير منها وذلك عند حديثنا عن الشفاعة المثبتة وكل هذه الآيات و الأحاديث تثبت الشفاعة للنبى ـ ﷺ ـ وتثبت الشفاعة للملائكة و الأنبياء والعلماء والشهداء وللصيام وللقرآن. وكل ذلك أحاديث صحيحة .

وأن أحاديث الشفاعة التى يرفضها الدكتور صحيحة وليست متعارضة مع آيات الشفاعة بل مفسره لها فليس ثم تعارض، إلا بين تفسيره الخاص للآيات القرآنية فى الشفاعة وهو تفسير غير صحيح وبين فهمه الخاص للأحاديث النبوية فيها وهو فهم قاصر وغير صحيح.

---

[١] سورة الزمر آية (١٩)

[٢] ردود العلماء على منكرى السنة والشفاعة من ص ٤٨ ـ ٥٢

[٣] سورة التوبة آية (١١٣)

إذ لا يوجد على الإطلاق تعارض بين ما جاء فى كتاب الله وبين ما صح عن رسول الله ـ ﷺ ـ وهذا أمر يعلمه العلماء المسلمون منذ كان عهد صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ وبالتالى فادعاء أن القول باعتقاد أحاديث الشفاعة من شأنه أن يجعلنا أن نعارض ما جاء فى كتاب الله حاشا لله عز وجل.

آيات الشفاعة التى نفتها- كما قلت- نفتها عن غير المؤمنين والأحاديث أثبتت الشفاعة بالنسبة للمؤمنين ونفتها أيضاً عن الكافرين . فأحاديث الشفاعة فى السنة النبوية جاءت متفقه تماماً مع آيات إثبات الشفاعة للمؤمنين بشروطها وهى ليست بأحاديث باطلة كما زعم. و انما هى أحاديث صحيحة وردت فى أمهات كتب السنة كصحيح البخارى ومسلم ومسند الإمام أحمد بن حنبل وموطأ الإمام مالك وغيرها من عيون مصادر السنة الصحيحة وقد سبق ذكر الكثير من تلك الأحاديث وتخريجه.

ثم إن مقال الدكتور قد هدم المصدر الثانى للتشريع فهو قد أنكر حجية السنة التى هى المصدر الثانى للإسلام فهو قد سحب الثقة من صحيح البخارى وان صحيح البخارى هو أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل وإذا كان قد سحب الثقة من صحيح البخارى فهو من باب أولى قد أنكر جميع الأحاديث النبوية وبذلك يكون قد هدم المصدر الثانى للدين وهو المذكرة التفسيرية للقرآن الكريم

ونسأل فضيلة الدكتور هذا السؤال: إذا سحبنا الثقة من السنة النبوية التى تقول عنها أنها ليست محفوظة بعناية الله واكتفينا بالقرآن العظيم . من أين أخذ المسلمون أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج؟ هل تجد فى القرآن العظيم أن صلاة الصبح ركعتان والظهر أربع والمغرب ثلاث ؟ وهل تجد فى القرآن الكريم أن صيام الحائض والنفساء باطل وعليهن القضاء أو هل تجد فى القرآن أن الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ؟ وهل تجد فى القرآن العظيم نصاب الزكاة فى الذهب والفضة والأموال والزروع والأغنام والبقر وغير ذلك؟ وهل تجد فى القرآن الكريم تفصيل مناسك الحج وأن الحج عرفه؟ أم كل ذلك قد أخذ من السنة النبوية المطهرة التى حفظها الله تعالى بحفاظها وعلمائها وأن علم الجرح والتعديل فى الحديث الشريف ليعد أدق ميزان علمى صحيح عرفته البشرية بشهادة

المستشرقين المنصفين وبه يعرف الصحيح من الموضوع وبمقتضاه لا يجوز إطلاقاً الطعن في أي حديث شهد علماء الحديث بصحته مهما تراءى للفهم القاصر بطلانه فالعقل لا يحكم على الوحي متى صح ثبوته وبالتالي فان إنكار الأحاديث الصحيحة جناية لا تغتفر.

ثم إن ما ذكره الدكتور من أن السنة النبوية ليست محفوظة بعناية الله هو قول باطل إذ يقول: "والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي تولى رب العالمين حفظه بنفسه من أي تحريف وقال في كتابه المحكم " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون"[١] ولم يقل لنا رب العالمين أنه حفظ كتاب البخاري أو غيره من كتب السيرة ، وما يقوله البخاري مناقضاً للقرآن لا يلزمنا في شئ"[٢]

هكذا يدعي الدكتور مصطفى محمود أن السنة النبوية ليست محفوظة بعناية الله وأن كتب الأحاديث جميعاً باطلة ولا تلزمه في شئ . ولكننا سوف نرد على منكري حفظ السنة بأدلة من القرآن الكريم صريحة ومباشرة ومستنبطة أيضاً فانه لا ينفع مع منكري السنة الرد عليهم بالسنة.

الدليل الأول : قال تعالى في سورة الكهف :

[واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلمته ولن تجد له من دونه ملتحدا][٣] وهذا نفي قطعي لتحريف الكتاب لفظاً ومعنى بما يفيد أيضاً القطع بحفظه :كلمات وآيات وسورا ، لأن إثبات حفظ الكلمة يثبت حفظ الآية والسورة ومن ثم حفظ الكتاب كله كاملاً باعتبار أن نفي تبديل الأصغر يثبت حفظ الأكبر فليس ثم نص قاطع بالحفظ في وضوح وصراحة وأحكام قوله تعالى" لا مبدل لكلماته " فهي النفي المطلق للتبديل وهو نص كاف للدلالة على حفظ القرآن الكريم ، ومع هذا فقد قال تعالى[انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون][٤] .

---

[١] سورة الحجر آية (٩)

[٢] الشفاعة د /مصطفى محمود ص ٤٩

[٣] سورة الكهف آية (٢٧)

[٤] سورة الحجر آية (٩)

فما هو الذكر الذى وعد الله تعالى بحفظه فى هذه الآية بعد أن قطع بنفسى تبديل كلمات كتابه سبحانه ؟ هل الذكر هو القرآن الكريم فحسب؟! أم الذكر فى هذه الآية هو القرآن والسنة معاً ؟ وما الفرق بين النفى القطعى لتبديل كلمات الكتاب رغم أنف أعداء الله الذين زوروا الكتب السماوية السابقة، وبين الوعد بحفظ الذكر؟

يقول الأستاذ الدكتور/ فاروق الدسوقى[١] :

أقول بادئ ذى بدء أن الوعد بالحفظ للذكر لا يتضمن بالضرورة حفظ المبنى : حروفاً وكلمات وآيات وسوراً ونظماً وترتيباً وعداً ورسماً وتلاوة ونطقاً، فان هذا هو الذى تحقق للقرآن الكريم بمشيئة إلهية عليا مهيمنة نافذة مرادها حتمى الوقوع وقد كان هذا فيما يعرف الآن بالظاهرة القرآنية.

أما حفظ الذكر فلا يستتبع بالضرورة حفظ الحروف والكلمات والجمل بل قد يكون حفظاً بالمعنى وأكثر الألفاظ فقط ومن ثم يمكن أن تدخل السنة فى الوعد الإلهي بالحفظ بمقتضى هذه الآية إذا أثبتنا لأن لفظ الذكر يصدق على القرآن والسنة معاً .

وأول الأدلة : على أن السنة من الذكر هو أن القول بأن لفظ الذكر فى هذه الآية يصدق على القرآن الكريم فحسب دون السنة يؤدى إلى القول بتكرار المعنى ، وبأن تكون هذه الآية بجانب آية الكهف بلا فائدة مضافة وحاشا لله تعالى أن يكون فى كتابه آية أو حتى كلمة أو حرف بلا فائدة . ومن ثم تكون فائدة هذه الآية الإخبار بحفظ السنة بجانب حفظ القرآن أى حفظ الوحى قرآناً وسنة ، إلا أن آية الكهف تثبت انفراد الكتاب بالحفظ مبنى ومعنى فى حين أن الذكر الذى منه السنة . لا يلزم حفظه بالكلمة .

إن الذكر فى هذه الآية لفظ يصدق على السنة كما يصدق على القرآن بدليل قوله تعالى فى سورة يس [وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو إلا ذكر وقرءان مبين][٢] .

أى أن هذا الذى تسمعونه منه أيها العرب ليس شعراً ، ولم يعلمه ربه الشعر أو يصح له أن يقوله لما ينطوى عليه الشعر من الخيال والمبالغة والكذب ، لذا فان كل ما

---

[١] ردود العلماء على منكرى السنة موضوع إنكار حجية السنة دليل فساد المنهج الفكري والعلمي .

[٢] سورة يس آية (٦٩) .

تسمعونه من النبى ـ ﷺ ـ " إن هو إلا ذكر وقرءان مبين " فلو كان الذكر هو القرآن ما جمعها لأن ما بين حرفى القصر والحصر (إن) و (إلا) الضمير (هو) الذى يعود على كل ما ينطق به النبى ـ ﷺ ـ منذ بعثه مبلغاً إياه قومه وأمته ، وقد قال الله ـ تعالى ـ فيما يبلغه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ [وما ينطق عن الهوى إن هى إلا وحى يوحى علمه شديد القوى][1] فكل ما يخرج من فيه ـ ﷺ ـ وحى من عند الله ومعلوم أنه ـ ﷺ ترك القرآن وترك السنة وما قاله للناس أثناء عمره النبوى المبارك هو القرآن والسنة ، وهو الذى يعود عليه الضمير (هو) " انو هو إلا ذكر وقرءان مبين " فالذكر إذن السنة والقرآن المبين هو الكتاب ومن ثم يكون معنى قوله تعالى [إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون] أى ما أوحى به الله تعالى إلى نبيه قرآناً وسنة سيحفظه الله ـ عز وجل ـ وكل ما علمه الله تعالى نبيه الذى ليس الشعر منه هو كل ما نطق به مبلغاً من الوحى أى الذكر والقرآن المبين ، أى السنة والكتاب .. فالضمير هنا فى سورة " يس " يعود على الوحى الذى تفصيله كل ما نطق به المصطفى ـ ﷺ ـ طيلة عمر النبوة المباركة والذى اسمه (ذكر وقرآن مبين) فهل الذكر هو القرآن المبين أم أنه بالضرورة أقوال أخرى نطق بها النبى ـ ﷺ ـ وكل ما ينطق به وحى غير القرآن أو مع القرآن ، إن الذكر هنا هو السنة بالضرورة وهذا يفيد وعد الله بحفظ السنة بآية حفظ الذكر .

الدليل الثانى : قوله تعالى فى سورة النحل :

[وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم][2] والسنة بيان وتفصيل وتفسير للقرآن الكريم ، وهى هنا الذكر المبيين للناس وما نزل إليهم من القرآن الكريم وتدبر التماثل بين قوله تعالى [إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحفظون] وبين قوله " تعالى [وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم لعلهم يتفكرون] ومن ثم يكون الرسول ﷺ مبلغاً للقرآن كما نزل عليه ثم مبيناً له بالذكر الذى نزل عليه أيضاً فالذكر الذى يبين القرآن هو السنة ومن ثم تكون السنة قد نالت الوعد الإلهي بالحفظ .

---

[1] سورة النجم آية ٣ ـ ٥

[2] سورة النحل آية (٤٤)

الدليل الثالث : قوله ـ عز وجل ـ لنبيه ـ ﷺ ـ [لا تحرك به لسانك لتعجل به انا علينا جمعه وقرءانه فإذا قرأته فاتبع قرءانه ثم انا علينا بيانه][1] .

فانظر إلى وعد الله تعالى بحفظ القرآن مبنى ومعنى وتلاوة ورسماً يقول : [إن علينا جمعه وقرءانه فإذا قرأنه فاتبع قرءانه " ثم تدبر قوله تعالى بعد هذا " ثم إن علينا بيانه] وتساءل معى بم كان بيان القرآن ؟ أليس بالسنة ومن الذى تكفل بيانه ؟ أليس هو الله رب العالمين بإنزال ما بين به رسوله كتابه وفسره وهو السنة ؟ وهل هذا الوعد من الله تعالى بحفظ القرآن جمعاً وقراءة قد اقترن به تكفله ـ سبحانه ـ ببيانه بالوحى المنزل على نبيه بتفسير كتابه ؟

أليس فى قوله تعالى عن القرآن " انا علينا " ثم فى السنة المفسرة للقرآن " ثم ان علينا بيانه " وعد بانزالها ثم بتعليقها ثم بحفظها مع القرآن الكريم ؟ بلى والله .

فمن فرق بين القرآن والسنة فى كفالة الله لحفظ وحيه كتاباً وسنة فقد خالف هذه الآية المحكمة بتكفله بهما انزالاً وحفظاً وبياناً .

الدليل الرابع : قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا "[2] وقوله تعالى [وما آتكم الرسول فخذوه وما نهكم عنه فانتهوا][3] .

هذه الآيات تدل على أن عماد التكليف كله فى الإسلام فى " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول والطاعة تنفيذ الأوامر وترك النواهى . ما هو مصدرنا فى العلم بالأوامر والنواهى الربانية ؟ القرآن الكريم كتاب الله عز وجل .

وما هو مصدرنا للعلم بالأوامر والنواهى النبوية حتى نكون مطيعين للرسول ﷺ ؟ هى السنة النبوية الشريفة .

---

[1] سورة القيامة آية من (١٦ ـ ١٩)

[2] سورة النحل آية (٤٤)

[3] سورة الحشر آية (٧)

والسؤال الآن هو: كيف يكلفنا الله نحن أهل القرون المتأخرة عن العهد النبوى بطاعة رسوله وقد أذن الله تعالى للسنة أن تضيع بين ركام الموضوعات والمكذوبات كما يزعم منكرو حفظ السنة ؟ أليس هذا يكون تكليفاً من الله تعالى مالا تطيقه النفوس وتسعه العقول وهو سبحانه القائل " لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ثم أن قوله تعالى بعد هذا " وأولى الأمر منكم " أى بعض وفاة رسول الله ـ ﷺ ـ حيث ستنجم بين المسلمين من بعده أمور خلافية يتنازعون فيها فماذا يفعلون حيالها ؟ هل يردونها لكتاب الله وحده لأنه هو وحده المحفوظ والسنة غير محفوظة أم للاثنين معاً لأن الله تعالى وعد بحفظ الذكر قرآناً وسنة ؟

والإجابة القرآنية : بل ردوا ما تنازعتم فيه إلى الله ـ عز وجل ـ " أى إلى كتابه " وإلى رسوله ـ ﷺ ـ " أى إلى سنته قال تعالى " فان تنزعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً " .

فأنظر إلى قوله تعالى " فردوه إلى الله والرسول " أى ردوه برد واحد إلى كتاب الله والسنة معاً غير فاصلين بينهما بخلاف قوله تعالى " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول " أى بطاعتين وليس بطاعة واحدة لأن أوامر الله فى كتابه وأوامر رسوله فى سنته وان كان المطيع للرسول مطيعاً لله والعاصى للرسول عاصياً لله ـ عز وجل ـ ان هذه الآية تتضمن وعداً مضمراً من الله بحفظ السنة كوعده بحفظ الكتاب سواء بسواء وإلا لما كلفنا بطاعة نبيه ورد النزاع إليه من بعده ، ومن ثم فكل من يشك فى حفظ السنة مضيع للتكليف وهادم للدين سواء علم بهذا أم لم يعلم .

الدليل الخامس : قال تعالى لنبيه ـ ﷺ ـ " وما أرسلناك إلا كافة للناس "[1] وقال تعالى عنه أيضاً " رسول الله وخاتم النبيين "[2] .

وعلى هذه الآيات وغيرها تقوم عقيدة ختم النبوة التى يكفر من يكذب بها فى الإسلام ، فرسول الله هو نبى الله المبعوث إلى البشر فى كل مكانوكل زمان حتى تقوم الساعة .

---

[1] سورة سبأ آية (٢٨)

[2] سورة الأحزاب آية (٤٠)

وحيث أن سنة الله فى إرسال الرسل كانت تقتضى بعث رسول وكتاب إذا حرف أكثر الكتاب السابق وانمحت المعالم الربانية للرسالة فينزل الله كتاباً جديداً ينسخ به الكتاب السابق بعد أن غلب عليه التحريف ، فإذا علمنا أن حفظ الله ــ تعالى ــ للقرآن الكريم مرتبط بختم النبوة حتى لا تحتاج البشرية إلى كتاب آخر فى نهاية الدنيا ، وحيث أن بيان الكتاب الذى تكفل الله به والذى هو ضرورة للانتفاع به هو بالسنة ، فان عقيدة ختم النبوة توجب الاعتقاد بحفظ الله ــ تعالى ــ لدينه الخاتم ورسالته الأخيرة أى لكتابه وبيان كتابه أى السنة النبوية . ومن ثم فلا معنى لحفظ الكتاب بدون حفظ السنة لعدم الانتفاع به على خير وجه إلا بالسنة التى هى بيان ربانى له ووحى مثله نزل معه ، فالوعد الإلهي هو بحفظ الوحى كتاباً وسنة وليس كتاباً فقط كما يتوهم البعض

وصدق الرسول ــ ﷺ ــ إذ يقول : " ما من الأنبياء من نبى إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر . وانما كان الذى أوتيت وحياً أوحى الله إلىّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة "[١] .

وقوله ــ ﷺ ــ : " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى "[٢] .

وقد أخبر ــ ﷺ ــ عن أمثال هؤلاء المشككين فى السنة وحذر منهم فقال " إلا انى أوتيت الكتاب ومثله معه ، إلا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، وأن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله "[٣] . وصدق رسول الله ــ ﷺ ــ والله يقول : " من يطع الرسول فقد أطاع الله "[٤] .

---

[١] صحيح مسلم كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ــ ٢ ــ حديث رقم ١٥٢/١٣٩ ط : دار إحياء الكتب العربية .

[٢] رواه الترمذى كتاب المناقب باب [٣١] .

[٣] أخرجه أبو داود فى سننه كتاب السنة باب لزوم السنة ج٤ ص ٢٠٠٠ رقم الحديث ٤٦٠٤

[٤] سورة النساء آية (٨٠)

ونستخلص من هذا أن السنة النبوية محفوظة بعناية الله عز وجل ، وأن جميع أحاديث الشفاعة جاءت متفقة مع آيات القرآن العظيم وليس هناك خلاف على الإطلاق ومن يقل غير ذلك فعليه أن يراجع نفسه ألف مرة ومرة .

ويتضح من مقال الدكتور / مصطفى محمود أنه لا يحب أن يخرج أحد من النار فلا يفتح باب الجنة على حد تعبيره " سبهلله للكل "[1] ونسى قول الحق ــ تعالى ــ " إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد إفترى إثماً عظيماً "[2]

وكذلك ما قاله الدكتور / مصطفى محمود فى الغاية من الشفاعة هو أيضاً غير صواب حيث يقول " إذا كانت شفاعة الشفعاء هو إضافة معلومة عن عذر المذنب وظروفه فالله تعالى أعلم بظروفه من أى مخلوق[3] .

من قال لك يا دكتور أن الغاية من الشفاعة هى إضافة معلومة عن عذر المذنب ؟

إن الحكمة من الشفاعة هى تكريم الشافعين ورفع شأنهم على رؤوس الأشهاد وإضافة الكرم الإلهي على المشفوع لهم . وذلك لا يقدح فى علم الله شيئاً فالله ــ عز وجل يعلم السر وأخفى وهو عز وجل لا يسأل عما يفعل .

ثم إن اختصاص النبى ــ ﷺ ــ بكثير من الشفاعات يوم القيامة يدل على أن لهذا النبى الكريم من الاختصاصات الربانية ما يجعله فى منزلة من الفضل لا تطاول ومثل من فى ذلك المنزلة الرفيعة من الكرم حرى بأن يؤمن به كفافة البشر . ومن ثم فان الشفاعة تصبح واحدة من أعظم أدوات الإغراء بالإقبال على هذا النبى العظيم والدخول فى حومة الخير الذى جاء به ، فهى من أدوات الدعوة إلى الله ومن عوامل الترغيب فى الإقبال على من بعثه بالدين الذى ارتضاه لخلقه . وإذا كان عظماء الدنيا من الملوك والرؤساء والأمراء لا يخضعون لقوانين الجزاء على العمل فلم نستكثر على عظيم العظماء وأشرف الرسل والأنبياء أن يمنح من ربه ما هو ممنوح لعظماء الدنيا من خلقه . مالكم كيف تحكمون ؟

---

[1] كتاب الشفاعة د / مصطفى محمود ص ٣٢

[2] سورة النساء آية (٤٨)

[3] كتاب الشفاعة د / مصطفى محمود ص ٤٥ ، ٤٦

والذى نختم به الحديث هو أن الدكتور / مصطفى محمود قد تبنى وجهة نظر المعتزلة وقال بها وانتصر لها ، وأدعى أنها هى التى تتفق وصريح القرآن الكريم وأنكر الأحاديث التى تخالفها ، وأدعى أنها مدسوسة عليه ، فانه لم يضف جديداً إلى ما جاء فى كتب المتكلمين ، ولو أنه تبنى وجهة نظر السلف فآمن بكل ما ورد حول الشفاعة فى الكتاب والسنة الصحيحة على أساس أنها من الأمور السمعية التى لا مجال فيها لغير المنقول عن الكتاب والسنة لكان أهدى سبيلاً وأقوم قيلا .

وان مقال الدكتور / مصطفى محمود : قد أعطى صلاحية للعقل أن يزلزل كثيراً من أمور الدين مع التشكيك فى فهم لآيات صريحة فى القرآن بوقوع الشفاعة يوم القيامة فهو بهذا الفهم قد زاد فى غلوه عن المعتزلة وتطرف عنهم فى الفكر فهم قد سلموا بالشفاعة العظمى والشفاعة فى زيادة الدرجات وأنكروا الشفاعة لأهل الكبائر أما سعادة الدكتور فقد نفى الجميع .

ثم إن سعادة الدكتور قد أتى بسابقة تحسب عليه لا له وهى أن جماهير المسلمين يطلبون الوسيلة للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويصلون عليه بعد كل آذان خمس مرات فى اليوم والليلة كى ينالوا شفاعته ــ ﷺ ــ وصار ذلك بمثابة ما أجمع عليه السابقون واللاحقون من المسلمين ومن خالفهم عليه أن يراجع حساباته ألف مرة ومرة .

نتائج البحث

أولا : أن الشفاعة قسمان:

أ ـ شفاعة مثبتة بنصوص القرآن والسنة الصحيحة وهى شفاعة المولى عز وجل وشفاعة الملائكة والأنبياء والشهداء والعلماء والصالحين والصيام والقرآن .

ب ـ شفاعة منفية وهى شفاعة الآلهة والأصنام والأوثان وكل ما عبد من دون الله أو أتخذ وليا من دون الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

ثانيا : لا يشفع أحد إلا بعد إذن الرب ـ تبارك وتعالى ـ له . وذلك لقوله تعالى [من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه " والاستفهام هنا للنفى أى لا أحد يشفع إلا بإذنه تعالى .

ثالثا : لا يشفع أحد فى آخر إلا إذا كان الله تعالى قد رضى عن المشفوع فيه بارتضائه قوله وعمله وذلك لقوله ـ عز وجل ـ " ولا يشفعون إلا لمن ارتضى " فانه صريح فى نفى الشفاعة عن أحد لم يرتضيه تعالى .

رابعا : لا يشفع أحد فيمن مات على الشرك والكفر وذلك لحكم الله ـ تعالى ـ بخلود الكافرين والمشركين فى النار بقوله ـ تعالى ـ [إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية] .

خامساً : يجب أن ينقطع طمع العبد فى غير الله ـ تعالى ـ فلا يطلب الشفاعة من أحد ، ولا يسألها من غير الله عز وجل إذ الشفاعات كلها لله ـ تعالى ـ وليس لأحد سواه منها شئ قال ـ تعالى ـ " قل لله الشفاعة جميعا " وقوله تعالى " من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه " .

سادساً : أن جميع أحاديث الشفاعة التى وردت فى السنة الصحيحة كلها جميعاً متفقة مع القرآن العظيم ومن يقل غير ذلك فعليه أن يراجع نفسه ألف مرة .

سابعاً : أن السنة النبوية محفوظة بعناية الله ـ تعالى ـ وقد سبق ذكر الأدلة على ذلك .

ثامناً : أن الحكمة من الشفاعة هى تكريم الشافعين ورفع شأنهم على رءوس الأشهاد وإفاضة الكرم الإلهي على المشفوع لهم . وأن هذا لا يقدح فى علم الله شيئاً فهو سبحانه يعلم السر وأخفى وهو ـ عز وجل ـ لا يسأل عمايفعل .

تاسعاً : عدم خلود مرتكب الكبيرة فى النار الذى مات على التوحيد .

عاشراً : إجماع المسلمون السلف والخلف على أصل الشفاعة وأن الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة هو فى مرتكب الكبيرة فأهل السنة والاشاعرة والماتريدية يقولون بجواز الشفاعة ، والمعتزلة ومن شايعهم ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر ويقولون بخلودهم فى النار .

حادى عشر : أن مذهب أهل السنة هو المتفق مع القرآن والسنة الصحيحة فى خروج أهل الكبائر من النار .

ثانى عشر : أن رأى الدكتور / مصطفى محمود فى الشفاعة مخالف لإجماع الأمة الإسلامية السلف والخلف إلا من شذ منهم مثل المعتزلة والخوارج .

هذا وبالله التوفيق

دكتور / أحمد مصطفى على

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

مراجع البحث

١ــ القرآن العظيم تنزيل من رب العالمين

٢ــ الأربعين فى أصول الدين - الرازى ط : مكتبة الكليات الأزهرية

٣ــ الأدب الفرد - البخاري

٤ــ الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الأحكام - لإمام الحرمين أبو المعالى الجوينى ط : مؤسسة السعادة .

٥ــ أصول الدين - البغدادى - ط : دار المتب العلمية بيروت .

٦ــ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم الجوزية ط : دار بن زبرون

٧ــ تفسير الكشاف - الزمخشرى - ط : دار المصحف بالقاهرة

٨ــ التمهيد فى الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج لأبى بكر الباقلانى ط : لجنة التأليف والترجمة والنشر .

٩ــ التذكر فى أحوال الموتى والآخرة - القرطبى - ط : المكتبى التوفيقية .

١٠ــ تفسير ابن كثير ط : دار البيان العربى .

١١ــ تفسير القرطبى .

١٢ــ التفسير الكبير - الرازى - ط : بيروت .

١٣ــ دراسات فى العقيدة حول السمعيات د/ محمد عبد الصبور ط : دار الطباعة المحمدية

١٤ــ ردود العلماء على منكرى الشفاعة ، هدية مجلة الأزهر ربيع الأول ١٤٢٠ هـ .

١٥ــ سنن ابن ماجه ط : عيسى الحلبى .

١٦ــ سنن الإمام أحمد بن حنبل ط : بيروت .

١٧ــ سنن النسائى ط : مصطفى الحلبى .

١٨ــ سنن الترمذى ط : مصطفى الحلبى .

١٩ــ شرح العقيدة الواسطية - ابن تيميه - ط : مكتبة التراث الإسلامى .

٢٠ــ الشفاعة مصطفى محمود ط : مطابع أخبار اليوم .

٢١ــ الشفاعة لمن تكون - عكاشة عبد المنان الطيبى - ط : دار الاعتصام .

٢٢ــ الشفاعة عند الله يوم القيامة د/ محمد مجاهد نور الدين ط : العمرانية .

٢٣ــ الشفاعة - رسالة ماجستير د/ يوسف عبد الغنى - كلية أصول الدين أسيوط .

٢٤ــ شرح الأصول الخمسة - القاضى عبد الجبار - ط : مكتبة وهبة .

٢٥ــ شرح العقائد النسفية - التفتازانى - تحقيق د/ أحمد حجازى السقا ط : الكليات الأزهرية

٢٦ــ شرح المواقف - السيد الشريف الجرجانى - ط : بيروت .

٢٧ــ صحيح مسلم بشرح النووى ط : الشعب .

٢٨ــ صحيح مسلم - تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقى ط : دار إحياء الكتب العربية .

٢٩ــ صحيح البخارى بحاشية السندى ط : المكتب الثقافى .

٣٠ــ عقيدة المؤمن - أبو بكر الجزائرى - ط : المكتبة التوفيقية .

٣١ــ العلو للعلى الغفار - الذهبى .

٣٢ــ فتح البارى بشرح صحيح البخارى - للحافظ بن حجر العسقلانى ط : مصطفى الحلبى .

٣٣ــ الفرق بين الفرق - البغدادى - ط : دار التراث بالقاهرة .

٣٤ــ الفصل فى الملل والأهواء والنحل - ابن حزم - تحقيق د/ محمد إبراهيم نصر و د / عبد الرحمن عميره ط : عكاظ .

٣٥ــ القاموس المحيط - الفيروز أبادى ط : الحلبى .

٣٦ــ لسان العرب - ابن منظور ط : دار المعارف .

٣٧ــ المواقف فى علم الكلام - الايجى ط : المتنبى بالقاهرة .

٣٨ــ مقالات الإسلاميين - الأشعرى ط : مكتبة النهضة .

٣٩ــ المختار من شرح البيجورى على الجوهرة - المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد ط : المعاهد الأزهرية ١٩٧٦ .

ــ المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية ط : الأوفست .

ــ مذكرات فى التوحيد - الشيخ صالح شرف موسى ط : ١٣٧٢ هـ .

٤١ــ مختار الصحاح - أبو بكر الرازى ط : دار القلم .

رقم الإيداع ٢٠٠٠/١٨٠٤
مجموعة جوبيل بقنا